ما لم تحكه الروايات

رواية

سماح هشام

obeikandl.com

ما لم تحكه الروايات
المؤلفة : سماح هشام

تصميم الغلاف : أحمد حسين

الطبعة الأولي : يناير 2018
رقم الإيداع : 28664 / 2017
الترقيم الدولي : 978-977-769-212-0

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف– الدور
الخامس – مكتب 57
م : 01010490247
ت : (02)23963002

obeikandl.com

مقدمة وإهداء

إلى أبي وشرياني.. **هشام أبو المكارم**.. لم تكن هذه الرواية لتخرج إلى النور لولا يدك التى مددتها لى منذ البداية، منذ أن كنت طفلة تهوى «الشخبطة» وتتعلم من أبيها الذي دائمًا ما تراه يكتب ما يسمى بالسيناريو، فقلدته وبدأت طريقها فى الكتابة بفيلم بوليسي لم يشاهده أحد سميته باللغز العجيب.. وكان عجيب فعلًا! جريمة قتل وحاولنا البحث عن الجناة وفشلنا ثم قطعت الورق أو أضعته، لا أعلم فكنت أبلغ الـ10 سنوات فقط! ومن ثم تشجيعك لي لأشق دربي، سواء نفسيًا فكنت دائمًا ما تحدثني عن عثرة الكاتب وسبل المقاومة التى تظهر متى قررنا الكتابة وعلمتني الاستمرارية رغم الشعور غير المريح الذي يراودني بأننى أريد فعل أى شىء آخر، أو ماديًا لاستغلالي دار النشر خاصتك أسوأ استغلال، أكتب وأنشر وأربح كما يحلو لى دون

obeikandl.com

أي قواعد أو قوانين، أو مهنيًا.. فبسببك وضعت أسس الكتابة السينمائية فى محلها ومنها تعلمت كتابة الرواية وبنيتها وليست مجرد حروف تتسابق لتأخذ مكانها، أو أبويًا فكنت خير الأب والمعلم والصديق، لا تعنفني بل تناقشني، لا تبكيني بل تضحكني، لا تحبطني بل ترسم ابتسامة لامعة على وجهي متى نعتني بـ«تخينة، أنتِ حبيبتي، أم الخدود» وكانت كلماتك خير إضاءة لي فى ذاك النفق المظلم «أنتِ هتبقى حاجة كبيرة أوي فى المستقبل وهتشوفي وهفكرك، أنا فخور بيكي، الحزن هو الحاجة الوحيدة اللى بتقل مع الوقت بتهيألك إنك هتفضلى زعلانة علطول، المشاكل عاملة زي الصخرة الكبيرة مع كل معافرة منك بتكسري منها حتة ومع الوقت هتعرفي تزيحي كل ده بس كملى، أنتِ طريقتك حلوة أوي ودمك خفيف، اقري كتير وهتبقى كاتبة كبيرة جدًا».. أرجو أن تنال معافرتي إعجابك.. وأن تتذكر دائمًا أن هذا الشبل من ذاك الأسد.. دمت لى بخير حال وصحة وسعادة..

**

إلى **أ.عبد المجيد عويس**.. لن أنسى ما حييت أننى تكاسلت على شيء لأكثر من سنتين لخوفى وتقيدي بأشياء كثيرة.. وجئت أنت لتحررني من كل هذا العبث بجملتك التى لم تفارقني حتى أنهيت هذا العمل «اكتبي يا سماح، طلعى كل الـ**Energy** بتاعتك

فى الكتابة، أنا لو منك أكتب أكأب رواية على وجه الأرض تخلي الناس تقطع شرايينها منها!.. اوعي تبطلي كتابة Keep going Keep moving forward «كانت هذه الكلمات هي البنزين الذي حركني لأنهيها فى شهور قصيرة!!! فشكرًا!

**

إلى من لها الفضل في وجودي في هذه الحياه.. بعيدًا عن فضلها فى حملي لأشهر فى بطنها ورعايتي حتى أصبح إنسانة ذات قيمة، ولكنها كانت الملاذ الأخير لي من كل مخاوفي.. سواء في صغري عندما كنت أنهض من على الفراش لأنام بجانبها خوفًا من أي شيء قد يفترسني فى الظلام، أو بنومي دائمًا فى الجهة غير المواجهة لباب الغرفة وتركها هي للوحش تتعامل معه بينما أنام أنا فى سلام، أو ببلوغي العشرين وخوفي من أن يفترس الحزن حياتي، فأكتفي بحضنها دليلًا آمنًا على أن كل شيء سيكون بخير..

أمي/ كم كنت سببًا فى معاناتك وألمك، وكم أسأت إليكِ ولم أكن لكِ كما كنتِ لي، ولكن تذكري دائمًا أنكِ هنا.. في قلبي، في المنتصف تمامًا لن تتزعزعي أو تتحركي إلى أي مكان آخر.. حتى آخر يوم فى عمري ستكونين دائمًا The number one for me. إلى حضن وَسِع أوجاعي.. أمي/ **هيام عبد العظيم**.

**

لأصدقاء الدرب والطريق

إلى يد المساعدة التى استجابت دائمًا للنداء ولعثرات الطريق، وتحملت نداءاتي المتكررة التى لا تتوقف، لترد عليها بابتسامتها الواثقة وصوتها الحنون وتغرس فيّ أملًا جديدًا فى الحياة بكلماتها التى لم تفارقني.. إلى شجاراتنا المتكررة على تأخير الـ **Seen**، إلى أحلامنا المتعلقة بباريس وديزني لاند، وإلى الأغاني التى تشرحنا أكثر مما ينبغي، إلى دعوة أجابتها السماء وحققتها لي لأراها بكامل عينيَّ وحواسي.. هنا أمامي.. تتحقق كل يوم وكل لحظة.. إلى مشاكلنا التى لا تعد ولا تحصى ولكنها تهون.. ويهون كل شيء ما دمنا معًا.. إلى الصديقة الجميلة/ **سماء محمد**

**

إلى ضحكة لم أستطع التماسك أمامها، وفرحة تذكر دموعي بأنها لم تبكِ منذ أمد بعيد على شيء مفرح فانطلقت.. وانطلق معها حضن وسع فرحتي وضحكتي وحكاياتي، إلى الأم الصغيرة التى لم تتعدَ الـ16 من عمرها، وإلى البنت العاقة التى لم تنفذ يومًا نصائحي ولكنها تحب سماعها، إلى الموهبة المنطلقة، إلى مشروع الكوميديا النظيف، وإلى بئر ضم أسرارنا وخبايا لم يعرفها سوانا.. وإلى شجارات لا تنتهي وحب غطى كل هذا وأفاض عليه من كرمه حتى يحتوى نزاعاتنا التافهة.. إلى طريق سار بنا قبل أن نسيره،

ونحن نتسامر ونناقش مشاعرنا المخبأة بداخل صناديقنا المغلقة، إلى قلب كبير احتوى الكثير من السب والقذف والإساءة التى تنم عن طبيعة واثقة وتلقائية، واحتوى قلبي وأسكنه مطمئنًا.. إلى السند والدعم والجندى المجهول وراء تفاؤلي الدائم.. إلى أختي/ **بسمة هشام**.

**

إلى طفلة لم تكبر بعد، ربما نضجت شكلًا وفكرًا.. ولكن روحها حُبست عند الخامسة، تلعب وتضحك بكل تلقائية دون أدنى انتباه لشكل هذه التلقائية أو ما يترتب عليها، فقط علمت أن الحياة قصيرة.. متعبة عندما ندخل الطور العشريني من عمرنا.. فقررت التوقف عند سن الأطفال.. بكل براءة ضحكت وهرولت مسرعة إلى مدرسة الحياة.. تتناقش فى دروسها وتحاول التفوق في اختباراتها لتعود إليّ محملة بالأخبار السعيدة.. والواجبات اليومية المتعبة التى تحاول الاستمتاع بها قدر الإمكان.. حبيبتي.. مازال هناك قلوب كثيرة تبحث عنكِ.. بكل مساوئك.. بصوتك العالى.. وضحكتك المبالغ فيها.. بشكلك المهندم أحيانًا والمهمل أحيانًا.. بكل كلماتك العبثية عندما تحاولين توضيح مشاعرك.. وما أصعب ذلك الشئ! شكرًا على المشاركة، والضحكات الدافئة، وعلى تلقائيتك السخيفة أحيانًا.. والمذهلة أحيانًا كثيرة..

شكرًا على وجودك الدائم المنقطع.. وعلى أمنيات لم تناليها بعد.. ولكنك على بعد خطوات منها.. أختى الأكبر سنًا والأصغر عقلًا وقلبًا.. **ريم هشام**

**

إلى من استحقت لقب الأخت التى تنصحني أحيانًا، ربما تعنفني، وكثيرًا ما تسخر مني.. ولكنها تحبني.. وتريد أن تراني دائمًا في أحسن حال.. رفيقة الطريق منذ أيام الدراسة الثانوية، وشجاراتنا التى لا تنتهي.. ثم إلى الجامعة والكلية..

ربما تعرجت تلك الطرق التى سلكناها سويًا وأدت بنا إلى مفترق أبعد عنا تلك الليالي التى قضيناها سويًا نتسامر، نضحك، نثرثر بنميمة البنات التى نكره الخوض فيها.. ربما افتراقنا هذا لم يمنع تشابك أيدينا التى كادت أن تختلع من مكانها.. فاضطررنا قسرًا أن نتركها، ربما يؤدي مفترقنا إلى اجتماعنا مرة أخرى على طريق موحد لا حاجة فيه لتشابك الأيدي ما دامت قلوبنا متشابكة..

إلى خير صديقة ونعم الأخت.. وحضن أزاح عني عبء الدنيا وقسوتها بكل رفق وحنان، إلى حياة بسيطة جمعتنا كيد طفل صغير يمسك بإصبع أمه ويظن أنه الحياة، وإلى حكايات لم تنتهِ بعد ولن تنتهي أبدًا ما حيينا، إلى سخرية تهاونت فى قسوة أوجاعنا، وإلى ضحكات كسرت جليد الصمت وجعلتنا نبوح بالضحك مرة،

وبالبكاء مرات..

إلى فتاة لن تتكرر، وذكريات سأحسبها من أسعد ذكرياتي.. وصديقة نادرة لم تأخذ حظها من الدنيا.. صديقتي وأختي/ **نهى أمية**

**

إهدائي الأخير لجمهورية المعلمين، لأصدقاء الكلية، لوطني البارد الدافئ، ولكل حرب قامت بداخلنا ونحن فى ذروة السلام، إهداء إلى حب لم يكتمل.. وصداقات لم تصل لذروتها، ووجع كان سببًا فى أن يخرج هذا للنور..

obeikandl.com

إهداء للرواية ذاتها/ حمدًا لله على السلامة

obeikandl.com

عن الحياة، وعما طمحنا إليه سابقًا وزهدناه الآن بكل ما أوتينا من فقدان، وجع، واشتياق.. وأخرجناه من دائرتنا المفرغة التى ندور بها كل يوم، لتتوقف الدائرة عن الدوران وننزل أرضًا لنكتشف شيئًا واحدًا..

لم يعد لدينا ما نخسره، لقد خسرنا كل شيء!

**

31 ديسمبر 2017

جلست في مواجهة هذا الشاب الثلاثيني، نظر لي من وراء نظارته بابتسامة مزيفة اعتاد عليها بسبب عمله، اتكأت لأغرق أكثر داخل هذا المقعد المريح.. وبحيرة أم تحكي نفس الحكاية لطفلها قبل النوم يوميًا محاولة أن تجد فيها دروس حياتية أهم من البارحة.. حاولت بدء تلك الحكاية المكررة بملل شديد.. ابتسمت في ارتباك.. وأعطيته الأجندة التي باتت صديقتي الوحيدة.. بينما استأذنني في دقائق ليفهم المكتوب داخلها، واستأذنته أنا لأسترخي على مقعد الكشف الذي دائمًا ما أراه في الأفلام ولم تتح لي الفرصة لأجربه

بعد.. وبمرح يخفي كآبة جذرية، مددت جسمي في استرخاء أبت أطرافي أن تطيعه، أهو برد قارص بسبب التكييف الذي ضبطت درجة حرارته على 16 درجة مئوية؟ أم أنه الخوف الذي تآكلت بسببه حياتي بأكملها يتسرب إلى جسدي عن طريق أطرافي أولًا؟ أم أنه اليأس يستقر في خلاياي بعدما استقر جسدي بأكمله على الشيزلونج في استرخاء؟

لم يكن الموضوع كما تخيلت، فهذا الشيزلونج يزيدني توترًا، ووضعية جسدي تربكني.. ها أنا هنا حيث وُضعت النهاية والحل لكل شيء، لكل مشكلة، أنا هنا حيث آلت الأمور ومالت ولم أستطع إقامتها.. أين الحل؟

وجدته ينظر لي بتفحص وابتسامة مصطنعة، يركن أجندتي جانبًا بعد تصفح عدة ورقات منها، ويقول بتركيز:

ـ عندك فكرة حياة أي بني آدم بتمشي فى أنهي سكة؟

هززت رأسي وقلت دون أدنى ترتيب:

ـ آه.. سكة اللى يروح ميرجعش.

**

1

أول دروس الحياة أن تعيش

«خليك مع ربنا زي السبحة فى إيد العابد، واستنى الحب»

الخواجة عبد القادر

obeikandl.com

3 مايو 2017

غرفة صغيرة اتسعت لفراش منظم، لابتوب قديم قليلًا لكنه يفى بالغرض، كومود صغير حمل من الأكواب ما لا يستطيع حمله.. دولاب فرغ من ملابس تناثرت فوق مقعد مركون.. مكتب حمل الكثير من الأوراق والصور القديمة، وحمل كرسيه نوعًا آخر من الملابس، فستان سهرة أحمر.. يبدو أنه قد مر بكل مراحل التنظيف والكي وعلى أتم استعداده لتلك السهرة.. كان غريبًا أن يكون الفراش هو المكان الوحيد الهادئ من صخب الفوضى، تبع ذلك فوضى أخرى أصنعها بالبحث عن حذاء لم أره منذ الحرب العالمية تقريبًا، حذاء مناسب جدًا لتلك السهرة.. ولكن أين هو.. كنت أعلم أنني وضعته في أحد أركان تلك الفوضى، نعم.. ها هو تحت سريري.. خرجت من تحته أتابع الأقدام المقبلة إليّ من الصالة والتي توقفت عند باب غرفتي في صمت شديد، رفعت رأسي لأرى أمي وثيابها ملطخة بالطعام، تبدأ يومي بكلماتها العذبة التي حفظتها من

obeikandl.com

كثرة سماعها، كما يبدأ صباحي بها دائمًا..

- صباح الزفت.

أكملت وصلة كلامية لم أسمعها فقط وإنما رددتها معها، ستصرخ بوجهي الآن على الأشياء التي فعلتها كقذارتي وفوضى غرفتي، كجلوسي على الإنترنت طوال اليوم، وستنهرني أيضًا على الأشياء التي لم أفعلها كتنظيف المطبخ وغسيل الأطباق، والمذاكرة التي لم أفعلها قط.. أنهت حديثها ببعض الأوامر والأفعال والجمل الخبرية والفعلية وكل قواعد النحو، لأرد عليها ردًا يطفئ شرارة غضبها:

- صباح الخير يا ماما.

قالت وهي تخرج من الغرفة قبل أن تتمتم بتعاويذ تقريبًا:

ربنا رزق كل الأمهات ببنات ورزقني أنا بسارة.

**

سارة صلاح الخياري.. طالبة بالفرقة الثالثة بكلية تجارة شعبة اللغة الإنجليزية.. الكلية التى يدخلها 90٪ من الطلبة ليس طلبًا للعلم، ولكن طلبًا «للشقط» أو اصطياد البنات اللاتى تميزن بكل مقاييس الجمال العالمية، ولم أكن منهن يومًا.. كنت تلك الفتاة المحجبة التى تضع القليل من المكياج الخفيف وقد لا أضعه على الإطلاق، وأرتدي ما هو مناسب لي ولسني وأيضًا لوزني الذي زاد مؤخرًا.. أنا هو ذاك الابتلاء الذي تدعو أمي الله ـ كل يوم ـ أن يزيحه عنها.. حتى

عندما كبرت وخرجت من طور الطفولة وأصبحت فتاة عشرينية لم أكن أبدًا ناضجة، لم أتصف بالعقل.. فقط الجنون والمزيد منه..

جلست على فراشي الذي رتبته اليوم واكتفيت به دليلًا على أنني لست فوضوية إطلاقًا.. وفتحت صفحة جديدة أنشأتها على الفيس بوك من حسابي الشخصي، احتوت على ألفيّ معجب أغلبهم من أصدقائي، احترت فى اسمها حتى استقررت على هذا الاسم (الموقف) ـ بكسر القاف ـ لأحكي بها كل ما أشاهده من مواقف يومية تستوقفني بالفعل وتجعلني أتعلم منها شيئًا، ناهيك عن السخرية التى تأتيني كل يوم من أصدقائي بسبب الاسم المفتعل وغير المفهوم، وكذلك كنت أنا، على أي حال.. ليبدأ يوم جديد بمنشور جديد على الصفحة:

«ليه الأمهات متدخلش الجيش؟ ويدخلوا أسلحة جديدة في الحرب زي الشبشب، وزي القرص مثلًا.. تخيلوا بنقرص العدو عشان ميعملش كده تاني».

**

أغلقت صفحتي لأحادث (سلمى) الأقرب إلى قلبي، بئر أسراري، وكل ما ملكت فى هذه الدنيا أطمئن على أن كل شيء على ما يرام، تحدثنا عن خطوبة اليوم، ومن سيأتي من معارفنا وأصدقائنا وبعض من نميمة البنات أنهيتها بسؤالي:

- وزياد باشا جاي بقى ولا مقدرتيش تعرفي وأنتِ بتراقبيه في صمت؟!

(زياد) هو الشاب الوسيم المعجبة به سلمى سرًا والتي حاولت محاولات مؤلمة التقرب منه ولكنها فشلت في أن تتعدى معه مرحلة الصداقة، لتقصف هي جبهتي تمامًا:

- لا عرفت.. جاي، وتركي كمان جاي معاه.

لم تعرف هي أن بكلمتها هذه قفز قلبي إلى حلقى لينبض بداخل رقبتي دون توقف، من تقصد بـ(تركي؟) أيعقل أن يكون الكون عادلًا لهذه الدرجة التي تجمعني به في يوم حماسيّ كهذا؟ أم أنها تقصد شخصًا آخر، لتؤكد لي ظنوني بقولها وهي تضحك:

- آه هو.. الكراش.

**

عندما دقت السادسة مساءًا كنت جاهزة وعلى أتم استعدادي لهذه السهرة، سأراه أخيرًا بعد غياب 13 يوم و22 ساعة.. تركي..

اسمه الحقيقي محمود تركي ولكن كعادتنا فى مصر نناديه باسم الوالد مباشرة نظرًا لانتشار (أحمد، محمد، محمود، وغيرها) كان مميزًا فى كليتنا بملامح وجهه كالحسنة التى استقرت بجانب عينيه العسليتين، شعره البني الفاتح الناعم الذي لا يستخدم له أيًا من تلك الكريمات المزيفة، لحيته الخفيفة التى يهذبها، أنفه الدقيق الرقيق.. كل

شيء فيه كان مميزًا، لامعًا، ممتازًا.. لم يكن (كراش) كما نعتته سلمى، كان شخصًا مثاليًا لدرجة لم تتح لي أن أقترب منه أكثر، مجرد علاقة سطحية..

أفقت من تفكيري لأجد نفسي أحتضن حذائي ذا الكعب العالى وأنا هائمة فى عالم آخر، وظهرت أمي فجأة مرة أخرى لتمنحني دعمها النفسي المعتاد وتخبرني أن سلمى قد وصلت بالتاكسي تحت المنزل وفي انتظاري لأذهب معها، أخبرتني في رفق ألا أتأخر إلا إذا أحضرت معي عريسًا.. لتتحول ملامحها من الاشمئزاز إلى الابتسامة اللامعة التى لم أرها سوى في عين أمي، احتضنتها وذهبت مسرعة لتتحول مرة أخرى:

- الجزمة يا متخلفة، هتنزلي حافية!!

**

كانت القاعة بعيدة عن تلك المنطقة التى أقطن بها.. شبرا، وكانت سلمى تسكن على مقربة مني بمسافة بسيطة فاتفقنا أن نذهب معًا ونقابل شيرين هناك لأنها تسكن قريبًا من مكان القاعة، فدائمًا ما تجتمع شلتنا في مثل هذه المناسبات (أنا وسلمى، شيرين وناهد) أما في الأوقات العادية أجتمع مع سلمى وننسى البقية.. لم تكن (شلة) كما أطلقنا عليها بالمعنى الحرفي للكلمة.. مجرد أصدقاء.. ركبت لأجد سلمى تنتظرني بالسيارة وقد طغى اللون البنفسجي

عليها، كم كانت جميلة تلك الفتاة التى امتلكت قلبي، مثالية بروحها وقلبها قبل جسمها.. كانت حلم أى رجل يريد الارتباط الشكلى والعاطفي والحقيقي.. جسمها متناسق لا تحتله دهون زائدة في غير محلها، طولها مناسب ليست قصيرة ولا طويلة، عيناها بنية، تمتلك شفاهًا رقيقة تليق بأي لون من ألوان المكياج، ملامحها تبدو أجمل بدون مكياج ولكنها دائمًا ما تضعه، محجبة وتحب الحجاب رغم روعة شكلها بشعرها الطويل الذي يصل لمنتصف ظهرها، ترتدي ما ترتديه فيصبح ممتازًا ومثاليًا عليها، كذلك الفستان الذي ترتديه الآن، غازلتها بمداعبتي المعتادة، لتضحك هي وتحتضنني حضنًا سريعًا، والسيارة بدأت تتحرك متجهة إلي قاعة الفرح، بينما سلمى مازالت تخبرني بمكر أن شكلي اليوم سيثير إعجاب الجميع بمن فيهم (تركي)، ومن هنا انفتحت نافورة نميمة لم ننهها إلى أن دخلنا إلى القاعة.

**

تجاوز نظري جميع الأضواء، الروائح العطرة المنطلقة من مختلف النساء والرجال، الفرحة العارمة التى يضج بها المكان، والأغاني الصاخبة التى تعلن بدء عالم آخر.. التفكير هو السيد الأول فيه، تجاوزت عيناي كل ذلك لترى شخصًا واحدًا لمحته عن بعد.. تركي.. كان في كامل أناقته فى بذلة سوداء اعتلاها ببيون زاده جمالًا،

أظنه كان يلمع من بعيد، وكأن هناك هالة تكونت حوله، يضحك بصوت عال، يمرح ويداعب أصدقاءه الرجال.. والبنات!! وهذا ما أسقط فى قلبي وخزًا لا أعرف سببه.. ظهرت على وجهي علامة ظنها الناس توترًا أو خجلًا.. وسمَّيتها أنا غيرة!

لم تكن الفتاة ذات الفستان الزهرى غريبة علىّ، ربما لمحتها فى الكلية أو أنها كانت معنا في الـ...

- شيرين!! دي شيرين اللى واقفة مع تركي أهي تعالى نسلم عليهم..

أطلقتها سلمى كالسهام فى قلبي، وقبل أن أغرق فى دور الضحية، اقتربت لأسلم عليهما.. كانت شيرين تتحرك بكعبها العالى برشاقة كأنها حافية القدمين، بينما كدت أن أتعثر بحذائي ذى الكعب القصير، لم أستطع إنكار الحقيقة، شكلها اليوم أجمل مني بمراحل.. حاولت التحدث بشكل طبيعي وأنا أنظر إليها فى توتر، قبلتها قبلتين باردتين، وعيناي مليئتان بتساؤلات لم تفهمها سوى سلمى، التى قررت أخذ شيرين والاستئذان ليذهبا قليلًا وتتركني مع (تركي) وحدنا، لعلّ تلك العقدة المأساوية المسماة بالحب من طرف واحد تنحل، تحدثنا قليلًا عن أخبار الكلية ،كان لطيفًا جدًا حتى عندما قال:

- عقبالك يا سارة.

قالها بابتسامة وهو يشير إلى ناهد التى دخلت مع عريسها للتو إلى القاعة وفرقة الطبول تزفهم بالأغاني التراثية.. كانا رائعين ومتألقين، فهي ترتدي فستانًا رقيقًا من اللون الأزرق اللامع مع بعض لمسات الورود عليه، وشعرها البنى الذي رفعت خصلاته لأعلى لتضع فوقه تاجًا رقيقًا.. وخالد الذي يرتدي بذلة زرقاء أيضًا ولكن من الدرجة الداكنة ويبتسم ابتسامة من أمسك بيديه العالم وامتلكه، لمعت عيناي فقلت بحب دون أن أنتبه:

- عقبالنا.

لمحته بطرف عيني ينظر لي بدهشة، ففهمت ما فعلته للتو بغبائي، عضضت شفتيَّ فى حرج ونظرت له فى محاولة فاشلة لإصلاح الموقف:

- عقبالنا.. اوعدنا يارب بخطوبة حلوة زي دي، وناس كتير تفرحلنا كده.

ابتسم فى محاولة منه للاقتناع ثم تحرك فى اتجاه العروسين دون استئذان، وتركني فى إحراجي الذي ملأ عليّ المكان ووجهى الذي زاد الأمر سوءًا وقرر أن يبكي الآن!

وجدت من يربت علي كتفي ويضحك من منظري، إنها رانيا تقف أمامي وتخبرني أن أيام الكلية مرت سريعًا وها نحن نحضر خطبة أعز أصدقائنا، حمدت الله على أننا فى موقف يستدعي البكاء،

وحمدته مرة أخرى أننى شردت وأنا أنظر للعروس أو تحديدًا لمن تركني وذهب فى اتجاهها، احتضنتني وكأنها ضغطت على زر البكاء المفرط، حاولت التماسك ولكن فشلت وتركت دموعي تنزل فى سلام، بينما دخلنا فى دوامة من الكلام عن الماضي والعمر الذي يجري كالقطار ولا يلحق به أحد، كانت رانيا من أصدقاء الكلية، ولكن من النوع الذي سمَّيته (أصدقاء اللحظة)، هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون فى حياتك فى لحظة معينة ويختفون فى بقية اللحظات، موقف صعب، فرحة عارمة، ستجدهم يخرجون من اللامكان ويكونون بجانبك، يساندوك، ثم يختفون عند انتهاء اللحظة، ليجهزوا للحظة أخرى مهمة عند شخص آخر وهكذا، لم أحب هذا المبدأ فى الصداقة ولذلك اعتبرتها فقط شخصية لطيفة أقضى معها الوقت كلما أتيحت لى الفرص واللحظات.

أخذنا الحوار حتى نسيت دموعى، أضحكتني هي عدة مرات عندما لاحظت حزني وبكائي، أثنت على شكلى؛ لإعجابها به مرة، ولتمنحني الدعم مرة أخرى، ولكن لم ينسَ عقلى ما حدث للتو، أنقذتني سلمى من ثرثرة رانيا عندما جاءت إلينا وسلّمت على رانيا بحرارة، واستأذنت لتأخذني بعيدًا بعدما انتهت فقرة الأحضان والقبلات التى نضيع بها ـ نحن البنات ـ نصف أعمارنا، أخبرتها بما حدث ونعتتني بالغبية، واتفقنا على أن نتجاهل تركي حتى يمضى

هذا اليوم بسلام.. لم يكن أمامي أى خيار سوى أن أظهر ما لا أشعر به، وأشعر بما لا يراه الناس، على أي حال.. إنها ليلة واحدة وستمر.

**

كانت ناهد متألقة، ملامحها البريئة المزينة، وكان خالد مثلها تمامًا من ذلك النوع الروتيني الممل، ولكن نوعًا ما كانا يليقان ببعضهما البعض.. حتى أسمائهما لم تكن لتعبر أبدًا عن شباب فى مقتبل العمر!

ولهذا رأى الجميع أنهما خُلقا من أجل أن يكونا سويًا.. قصة حب طويلة دامت ثلاث سنوات منذ أن دخلنا الجامعة، ومرت الأيام بسرعة وها هما يحفران قصة جديدة ناجحة من قصص الارتباط العاطفى الذي يفشل فيها أغلب جيل القرن الـ21

جلست أتأمل أصدقائي والبنات من معارفي فى الكلية بشكل عام، هؤلاء البنات الذين اختلفت أشكالهن.. واتّحدت مشاعرهن اليوم.. بالفرحة والغيرة، فقط لا غير.

كانت شيرين نشطة تتراقص هنا وتضحك هناك، لم أستطع معاتبتها أو حتى الفضفضة معها، فهي لا تعرف أى شيء عن مشاعرى تجاهه، ولم يكن هناك فرصة أبدًا لتعرف.. فحياتها مزدحمة بآلاف الأصدقاء والمعارف، أغلبهم من الرجال ليس لغرض معين غير أنها لا ترتاح فى التعامل مع بني جنسها، فهي دائمًا ترى أن التعامل مع الجنس الآخر أسهل بكثير من التعامل مع البنات، لم يكن لديها

وقت أبدًا لسماع شكوى إحداهن أو حل مشكلتها، حتى فى الكلية لم نكن لنجلس معها دقائق حتى يرن هاتفها بأى مكالمة تأخذها منا، ولكن لأننا اعتدنا على وجودنا نحن الأربعة بالشلة فكنا نفتقدها، نسأل عليها بين الحين والآخر، نحضر سويًا لتلك المناسبات ثم نختفي من حيوات بعض مرة أخرى، لذلك لم تكن لتهتم بمثل هذا الأمر غير الجلل، بغض النظر عن أننى لم أكتشف بعد ما الذى كانا يتحدثان فيه بكل هذه الأريحية، سألت نفسي آلاف الأسئلة الغبية، وسحقت نفسي فى تخيل إجاباتها ولم أجد إجابة واحدة ترضيني..

الغيرة.. تلك المشاعر التى تقتحمك وتجعلك تكره وتحب وتضحك وتغضب فى آن واحد، تملك كل شيء ثم تشعر أنه يتسرب من داخلك بمنتهى الرفق والقوة، تطرح بداخلك مختلف الأسئلة غير المنطقية بالمرة ولكنك تجاريها وتجيب عليها فتستشيط مرة أخرى، ومن بركان إلى بركان حتى تجد نفسك خطرًا على المجتمع ويستحسن أن يسجنوك فى محمية طبيعية قبل ارتكاب أى جريمة، ثم تكتشف بعد كل ذلك أن هذا البركان ليس له أى أساس من الصحة، وأنك كنت مخطئًا.. أيهدأ البركان ؟ أم يثور مرة أخرى لغبائه؟

**

ـ تحبي ترقصي معايا؟

نظرت ورائي لأجده هو، يمد يده فى حركة درامية استهلكها المخرجون ليصنعوا أفضل الأفلام ولم يتركوا للواقع شيئًا يذكر، دقائق من السكون لم تطاوعني فيها يدي التى امتدت لا إراديًا لتمسك بيده وتنهي تلك الليلة بأجمل مما تمنيت بكثير.

**

تفوه فمه بأولى الكلمات فأخبرني أنها المرة الأولى التي يراقص فيها فتاة لا يعرفها، من الواضح أن معارفه من الراقصات كثُر! بينما بدأت الأغنية تشرح كل ما فشلت ألسنتنا فى شرحه

If I should stay

I'll always be on your way

ابتسمت فرحة وتركت يده تتحرك على جسدي تراقصني فى حلم أشبه بالخيال، حاولت أن أنطق ولكن كلما أتذكر غبائي منذ قليل أصمت تمامًا.. ابتسمت وأنا أنظر للأرض فى خجل بينما هو مازال يتحدث:

- أنا أول مرة أشوف بنت محجبة وحلوة كده.. أنتِ غيرتِ نظرتي عن الحجاب!

**

صعقت عندما سمعت هذه الجملة، وكأنني لم أنتبه من قبل لما يحدث الآن، كلماته جعلتني أفيق لأكتشف نفسي فى أحضان رجل

غريب.. أسمع كلامًا أموت شوقًا لسماعه، وأتحدث بعينيَّ مع شخص لا أمتُّ له بصلة، ولكن قلبي يمتُّ له بكل الصلات، غاب قلبي وتسارعت دقاته، واستيقظ ضميري لأرى خيالات لأمي وأبي يقفان أمامي فى خجل من منظري.. يشيحان بوجهيهما بعيدًا عني فى عدم تصديق لهذا الكم من الخذلان، يعود قلبي ليشاهد كل هذا ويخبرني أن هذا ما احترقنا إليه شوقًا، وليس من المنطقى أبدًا أن أفسد هذه اللحظة أو أعكر صفوها لمجرد أنني أحافظ على عادات وتقاليد لا أؤمن بها، ليعود العقل ويطرحني أرضًا بأسئلته وأحكامه، حرام.. ذنب.. خائنة للثقة.. تحضنين رجلًا أجنبيًا.. العادات والتقاليد.. المجتمع.. تركى.. لحظة حالمة.. أغنية لا تكف عن الصراخ.. إضاءة مسلطة علينا.. نحن فى منتصف الحرب ولا نستطيع العودة إلى ديارنا الآن.. هذا عشق مشروع.. لا هذا هو العشق الممنوع.. تمامًا كالمسلسل.. لا لن أفعل هذا مجددًا.. ارجعى أدراجك.. ماذا لو كان لا يحبك على الإطلاق؟.. يتلذذ بضعفك وحبك وسيتركك فى أقرب فرصة.. دائمًا ما تخذلين الجميع.. عار.. حب.. اشتياق.. سأعود لهذا الوجع مجددًا.. حب لا أحصل عليه.. اشتياق لما ليس ملكي.. وربما يحدث الآن قبلة حارة تنهي هذا المشهد الرومانسي... قبلة؟!!!!

أفقت من تفكيري على ذروة تلك الأغنية تعلن انتهاء الرقصة

And I'll always love you

لأجد يديه تحتضنني بكل قوة لتجعلني أميل يسارًا بينما هو يدور ليقبّلني... فى جبيني!!

نظرت له كمن هي عارية فى منتصف الطريق، تلتحف بقبلته التى أشعلتها حبًا ودهشة، أكملت صمتي بصمت آخر.. نظرت حولى أشاهد ردود أفعال الجميع.. ووجدتني أنا وهو فقط من نرقص بجانب العروس، لاحظ الجميع تألقنا فى منتصف القاعة فقرروا الاكتفاء بالمشاهدة، نظرت لى ناهد بفرحة وهي تعود مرة أخرى للكوشة، بينما رانيا تقف مع صف المشاهدين وتصفق معهم بحرارة وكأن ما فعلناه للتو مدهشًا.. وشيرين التى نظرت لى حائرة ومندهشة مما حدث فدائمًا ما كانت تصفني بالمعقّدة.. وبين كل ذلك اختفت سلمى عن الأنظار.. لاحظت كل هذا فى نصف الدقيقة.. نظرت له مرة أخرى وملامحي بين الفرح والضيق، الحزن وعدم التصديق، ليختم هو كلامه:

- بتعرفي ترقصي حلو أوي

ويصفق لي بسخرية بينما يتجاوب معه الحاضرون.. لأعود أخيرًا لرشدي وأتركه وأنا شاردة، وأنطلق خارج القاعة بحثًا عن شيء ارتاح بداخله، سلمى!

**

وجدت ملاذي الأخير فى الحمام الذى سيخفيني عن كل العالم،

وقفت أمام المرآه أتحسس كل جزء فى جسمي لمسته يداه، نزلت دموعي رغمًا عني، نظرت للحجاب الذى غطى شعري ولم يستطع أن يغطي مشاعري التى تولت عجلة القيادة بدلًا مني اليوم، تحسست جبيني الذي قبّله بنعومة ونظرت لنفسي باحتقار ممزوج بفرحة، هل سمحت له بذلك؟ أو هو من خطفني من كل شىء وفعل هذا رغمًا عني؟ والسؤال الأهم أين سلمى الآن؟! وقبل أن أتصل بها فُتح باب الحمام لتخرج سلمى وقد احمرّت وجنتاها من فرط البكاء، نظرت لي في دهشة كمن نظر فى مرآة.. وقبل أن أسألها عن أى شىء سبقتني فى الحديث:

- إحنا لازم نمشي..

**

أخفينا آثار الوجع بذلك المكياج المزيف، وانطلقنا إلى خارج الفندق دون وداع لأحد.. وركبنا لنعود كمن خسر المعركة الكبرى، كمن خسر الحياة بأكملها بموقف.. صمتنا قليلًا وصممت أن تبدأ هي بالسرد، عساي أفهم ما الذي جعلها بهذه الحالة..

كانت سلمى قد أخذت شيرين بعيدًا عنا حتى أتمكن من التحدث مع تركي بمفردنا.. وقفا هما مع إسلام وزياد.. إسلام كان صديقًا مقربًا لشيرين وسلمى، وزياد الذي كان صديقًا لسلمى أيضًا وحبيبها الذي لم يشعر بحبها يومًا، دردشا معًا ثم استأذن ليجري

مكالمة مهمة أخبرها عنها كثيرًا ولم يخبرها عن ماهيتها، فقط مكالمة مهمة ستحدد مصيره وأشياء من هذا القبيل.. حينها لاحظت سلمى أن تركي بمفرده، فجاءت إليّ وقررت أن تنقذ ما تبقى من عقلي الذي استحوذت عليه رانيا بثرثرتها، تحدثت معي وتركتني عندما رأت زياد يدخل إلى القاعة وقد أنهى مكالمته، ليخبرها عن آخر خبر أرادت أن تسمعه في حياتها كلها..

- خطب!

**

بعد وصلة من السباب التي أطلقتها على زياد، أكملت سلمى حكايتها، فقد نجحت أن تخفي مشاعرها بأعجوبة وباركت له في فرحة مزعومة، واستأذنت منه لتختبئ في الحمام وتبكي دون توقف، ختمت كلامها فقالت:

- دخلت الحمام قبل ما تيجي الرقصة السلو ويطلب مني نرقص وأكسفه..

- نعم! هو مش اتنيل خطب؟ رقص إيه بقى؟

حاولت أن تشرح لي الأمر فقد فعلاها من قبل مرتين ولم يكن هذا بالأمر الجلل بالنسبة لهما، ولكني توقفت عند هذه النقطة لأحول مجرى الحديث تمامًا:

- من أول مرة رقصت معاه وأنا ابتديت أحس أنى.. بحبه..

obeikandl.com

– احكيلى بقى كنتِ حاسة بإيه لما رقصتِ معاه.

لتنظر فى عيني مباشرة:

– على أساس إنى مش حكيالك الموضوع ده 100 مرة قبل كده؟ وخدتيه وكتبتيه فى صفحتك بأسلوب **so romantic** أوي يعني؟!

نظرت للأرض وحاولت تجميع الحروف:

– آه.. عايزة أسمع تاني.. عايزة أعرف كنتِ حاسة بإيه لما حط إيده على جسمك كله ورقصتوا ؟

– مالك يا سارة؟!

نادتني باسمى لأرتجف وكأنه قد قيل فى محضر بالقسم!، كانت كـ(وكيل النيابة) يسأل ويتفحص الأمر ويحقق دون رحمة.. هو فقط يريد إجابة عن أسئلته، أخبرتها ما حدث منذ أن تركتني وحتى أنهيت تلك الرقصة، وعيناها تتسع بدهشة وفرحة لكل تلك التفاصيل الغريبة، ولكنها صُعقت من هذه النهاية المفتوحة.. كادت أن تسبُّني ولكنها تماسكت وقررت أن تحادثني بهدوء:

– كنتِ بتفكري فى إيه وأنتِ بتسيبيه وبتمشي؟!

– كنت بفكر فى بابا وماما، الحلال والحرام، وحاجات كتير كسرتها ومشيت ورا قلبي وخلاص.

لتهز هي رأسها كمن هو ملَّ من سماع أسطوانة مشروخة لا

obeikandl.com

تكف عن الصراخ:

- يعني بالراحة وبالعقل كده، تجيلك الفرصة لحد عندك وترفضيها، ترفضي النعمة برجليكي

لأثور أنا كمن أخذ إشارة بالثورة:

- نعمة إيه يا سلمى؟ نعمة فى إن واحد معرفوش حكّها معايا وأنا وافقته؟ ولا إنه كان فرحان إنه بيرقص مع بنت محجبة؟ عشان خلاها تعمل آخر حاجة تفكر تعملها قدام الناس!

لترد بصبر وهي تحاول احتواء الموقف واستيعابه:

- يعني أنتِ زعلانة إن ده حصل؟ ولا إنه حصل قدام الناس!

لم تكن لدى إجابة ولكننى لست بالمثالية الكافية التى ستميل للاختيار الأول.. لم أرد فاستطردت هي بسخرية:

- يعني أنتِ دلوقتي سندريلا اللى مشيت وسابته من غير ما تتكلم عشان الساعة دقت 12!

نظرت لها بعصبية فحاولت أن تصلح ما قالته بنصائحها الحكيمة:

- أنتِ عايزة تفهميني إن باباكي ومامتك مكانوش بيعملوا كده أيام الجامعة؟!

لأصمت أنا تمامًا ونكمل طريق العودة والسيارة مغلفة بالصمت والنظرات، وتأمل الشوارع والمحلات.. أسئلة وجودية.. مواقف ماضية يستدعيها عقلنا لنضحك ونخفف حدة الأمر.. وهدوء يحل

على المكان والشوارع.. إنها الثانية عشرة بعد منتصف الليل.. حيث يتحول كل شيء من النقيض إلى النقيض.. وتظل مشاعرنا كما هي لا تتغير.

**

7 مايو 2017

انقطعت عن الـSocial Media لأيام لانشغالى بالبحث عن أى عمل يخرجني من دوامة الملل التى تصيبني عند الاكتئاب، لم يكن العمل غرضه الربح فقط ولكن كان سببه الرئيسي هو الوقت الذي أضيعه بالتفكير فى أمور لا تجدي نفعًا، وهكذا كنت أحاول البحث عن عمل من المنزل نظرًا لظروف الكلية والامتحانات.. جلست طوال اليوم على مكتبي أفكر وأرسل سيرتي الذاتية لبعض الشركات، رن هاتفي عدة مرات، تركته فوق فراشي ولم أبالِ به، فقط أتطلع لأرى المتصل فضولًا ليس إلا..

مللت من ذلك اليوم فجلست أشاهد فيلمًا قديمًا من الأفلام العربية التى صنعت قبل عصر كاميرا الألوان.. كم أعشق هذه النوعية رغم كل ما بها أحيانًا من تكلف ولكنها نوعًا ما عبرت عني وعما أعانيه دائمًا..

شاهدت فيلم (الباب المفتوح) لأفصل قليلًا عن التفكير في العمل والإيميلات وملء السير الذاتية بكلام كاذب.. واندمجت

بالفعل حتى جاء المشهد الذي أغرقني فى نوع آخر من التفكير بين فاتن حمامة وصالح سليم.. ليصعقني بكل حرف قيل فيه:

– حسين، أنا كنت فاكرة إن أنت سافرت.

– مقدرش أسافر من غير ما أشوفك، أنتِ لسه مخاصماني؟ ما هو لازم حاجة من اتنين يا مخاصماني يا خايفة مني.

– وهخاف من إيه؟

– سؤال وجيه، الواحد بيخاف من شخص تانى ليه، إما إن الشخص ده مؤذي أو إنه خايف يحبه

– أنا عمري ما هحب حد.

– متأكدة؟!

– طبعًا متأكدة.

– أنا شخصيًا مش متأكد.

– قصدك إيه؟!

– قصدي إنك هتحبيني.. هتحبيني أنا، هتصحي فى يوم الصبح وتكتشفي إنك بتحبيني

– هههههههه.

– بتضحكي على إيه!!؟

– ياريت يكون عندي ثقة فى نفسي زيك كده يا حسين.

– مش فاهم حاجة.

obeikandl.com

– إيه اللى مخليك متأكد بالشكل ده؟ زي ما يكون أنا شخصيًا قولتلك إنى بحبك.

– الحاجات دي الواحد مبيقولهاش بلسانه قد ما بيقولها بعنيه.

– وعنيا قالتلك إيه بقى؟

– كفاية إنها مبتلمعش إلا ليا أنا بس.. كفاية إن وشك مبتنوروش الابتسامة إلا ليا أنا بس.

لم أتعجب حين بكيت بشدة، واكتشفت أشياء كثيرة في الفيلم الذي يبعد عني بسنوات طوال وأجيال كاملة.. أفتقده!! بكل ذرة فيّ..

أوقفت الفيلم لأرد على هاتفي بعد عدة مرات من تجاهله.. إنها سلمى، لست في مزاج جيد للنقاش الآن، سمعت هي صوتي الباكي فقالت:

– طب فهميني طيب حصل حاجة؟!

لأنفجر فيها دون مبرر واضح:

– هو اللى حصل مش كفاية عشان أزعل!؟ أنا بعيط عشان أنا مش على هواه، هو بس حب يكسر الحتة اللى شايفها عزيزة فيا ومخلياني حاسة إنى مختلفة.. خلاني سهلة وحسسني إنى رخيصة واستغل ضعفي.. ده وأنا بمشي مقاليش استني.. مبعتليش رسالة واحدة يطمن عليا يعتذر يقول أي حاجة.. أنا طلعت رخيصة يا

سلمى وضيعت نفسي عشان حاجة فاشلة اسمها حب..

– سارة ممكن تهدي بس ومتكبريش الأمور، أنتِ محساني إنه اغتصبك! ده رقص معاكي زي ما حصل مع كل صحابنا ومش كلهم مرتبطين، أنا بقولك أهو رقصت مع زياد قبل كده ومشفتهاش جريمة.

أشعرني كلامها بغضب يصعد لقلبي ليحرق الأخضر واليابس واندفعت بكلماتي التى دائمًا ما أندم عليها:

– وأنا مش زي حد يا سلمى.. وأنتِ المفروض أكتر واحدة عارفة ده.. أنا عمري ما رضيت بالمتاح ولا وافقت على أى حاجة لمجرد إن الكل وافق عليها.. آه أنا شايفه ده رخص وقلة أدب ومش مشكلتى إن اللى حواليا مش متمسكين بأي مبادئ وعايشين سبهللة، أنا مش رخيصة يا سلمى عشان أوافق أخلى حد يلمسنى ويحرق الحدود اللى حطاها لنفسي، لمجرد إنى حبيته!!

وأخذ الحديث مجرى آخر.. تمامًا:

– سارة!!! خلى بالك من كلامك.. تقصدي إيه!

– مقصدش يا سلمى أنا بتكلم عن نفسي، أنا مجتش جنبك، سيبيني دلوقتي ولما أبقى كويسة هبقى أكلمك.

– ماشي يا سارة زي ما تحبي، بس عايزة أفهمك حاجة، الصح والغلط حاجة نسبية ملهمش مقياس، لا عادات ولا تقاليد ولا

عرف بيحددهم وإلا كان وأد البنات لحد دلوقتى هو الصح!، قبل ما تحكمي عالناس (العادية) وتفكري إنك (مختلفة) عنهم اعرفي إن دي مجرد وجهة نظر.. وإن ممكن عادي جدًا تطلعى فى الآخر أنتِ اللى غلط.. كلنا بشر يا سارة.. فلو هتختلفي عن البشر ياريت متحكميش عليهم إنهم عاديين عشان حبوا نفسهم وقبلوها زي ما هي.. ربنا يريح بالك.. هكلمك بكرة أطمن عليكِ.. سلام.

لهذه الأسباب لا أرد على الهاتف!

لأننى الوحيدة التى تعرف إلى أى مدى قد يدفعني غضبي وانفعالي، ولا أحد يفهم تلك الحالة سواى.. حتى سلمى.

فتحت صفحتى الخاصة بالفيسبوك كانت هناك رسائل من أصدقاء الكلية الفضوليين يسألونني عن ذلك اليوم اللعين ومنهم شيرين التى اتصلت أكثر من مرة على الـ **Messenger** وأرسلت أكثر من رسالة فضولية تطفلية لتفهم مني ما حدث ليلة أمس وتسأل عن تلك الرقصة التى فضحتني، لفت انتباهي رسالة من حساب مزيف صعقتني «شفتك يوم الخميس فى خطوبة ناهد وكنتِ بترقصي مع تركي.. أمال ليه عاملة فيها معقدة ومبتكلميش ولاد ولا هو حلال ليه وحرام علينا.. عامة خليه ينفعك ولو إني كنت عايز أرقص زيه كده وأحضن وأحسس وأبوس.. بس معلش نصيب».. غصة فى حلقي، ودموع تجمعت لتسبب انهياري بعدما اعتقدت أنني

obeikandl.com

أقف على أرض صلبة.

لم أرد على الرسالة وانهرت فى البكاء، لأدخل بعدها على صفحة «الموقِف»، شاهدت تفاعل الناس مع الصفحة الذي كان أشبه بالميت منه إلى الحي.. لم أهتم كثيرًا وكتبت منشورًا جديدًا:

«كفاية إنها مبتلمعش إلا ليا أنا بس، كفاية إن وشك مبتنوروش الابتسامة إلا ليا أنا بس.. قد إيه الكلام حلو.. ياريت كل كلمة بنقولها تبقى بنفس الإحساس ده، أعتقد إن اللى كتب فيلم الباب المفتوح لو كان عارف إنه هيأثر فينا لحد دلوقتي، وهيخليني أعيط مع كل مشهد فيه، كانوا عملوله 3 أجزاء مثلًا!!..

اتفرجوا على أفلام أبيض وأسود كتير»

وضغطت على زر النشر ومن ثم شاركته على صفحتى الشخصية لأعمم ما قلته.. ولم أرد على رسالة واحدة فقط خرجت من الصفحة بسلام.. وظل الـWhatsapp هو التطبيق الوحيد الذي أفتحه يوميًا.

**

12مايو 2017

مرت الأيام ولم أنزل إلى الجامعة خوفًا من نظرات الجميع، فقط أجلس بغرفتي أشاهد الأفلام، أسمع الأغاني، أكتب أحيانًا، أفكر

كثيرًا..

تحدثت إلى سلمى بعد ذلك اليوم واعتذرت لها عن طريقتي غير اللائقة، وكعادتها تناست الموضوع ليمر الأمر علي كلينا بسلام.. كانت سلمى فى ذلك الوقت لا ترد على مكالمات زياد إلا نادرًا، لا تبكي ولا تحزن فقط تحاول تجاهله والتحجج بالكثير من الأعذار حتى ينساها ويذهب إلى من اختارها قلبه، حاولت إقناع نفسها أنها تناسته تمامًا ولكن كان الأمر يفشل عندما كان يجدد محاولاته فى الوصول إليها باتصال، مكالمة، أو رسالة تجعلها تنغرس فى التفكير مرة أخرى، ولكنها كانت أقوى من تلك التفاصيل.. وحاولت تجاوز الأمر كما تفعل دائمًا، أما عن الكائن المدعو بـ«تركي»، فلم يحادثني من حينها وكأن شيئًا لم يكن، مر نحو أسبوع ولم يفكر فى الاتصال بي، أقنعت نفسي أنه لا يكنّ لى أي مشاعر على الإطلاق وإنما الأمر ببساطة مجرد قضاء وقت فراغ فشلت إحداهن فى ملئه.. فملأته أنا، وانتهى الأمر.

ربما نظن أحيانًا أن هناك بدايات جميلة تبدو مثالية لا تشبه أي بداية أخرى، وعندما نقترب.. نحترق.. نكتشف أنها كانت مجرد نهاية مزيفة، ونقتنع بالأمر الواقع.. ألا وهو.. ما أجمل البدايات وما ألعن النهايات مهما حاولت أن تتجمل!

تركت الروتين يستولي على يومي، أستيقظ وبداخلى صراع لا

ينتهي.. الإفطار الذي تحول لكوب من النسكافيه فقط لا غير.. لاحظ أهلى استمراري على هذا النمط من الانعزال، الطعام الذي لا يدخل فمي إلا قليلًا، لم أعد أشاركهم أي شيء كما كنت أفعل، انطفأت ضحكتي سريعًا بعد صفحات عدة.. من بدء تلك الرواية!

**

تقدّم أبي نحوي بهدوء خشية أن تزعجني خطواته وقال:

- فى حاجة مخبياها على بابا حبيبك؟

- لا والله يا حبيبي مفيش، أنا بس دماغي وجعاني وبحاول ألاقي شغل.

لينظر لى طويلًا وكأنه يعلم ما بي جيدًا، ويقبّل جبيني، ويخرج دون أن يتحدث، كان أبي ـ رغم ضخامة جسمه وشعره الذي زينته خصلات بيضاء زادته وقارًا ـ حنونًا جدًا، دائمًا ما كنت أطلع أهلي على مشاكلى الخاصة وكل تفاصيلى، لم يعتادوا أبدًا أن أخفي عنهم شيئًا إلا إذا كان كبيرًا ويرهقني الحديث والتفكير فيه، كما هو الحال الآن.. لذلك تيقنا أن الموضوع ليس بهين علىّ.. ولم أكن أنا لأتحمل شرح الأمر وتحمل عواقبه بأن أكون دائمًا فى نظرهم خائنة للثقة، ومتحررة بشكل مبالغ فيه.. لم يكونا أبدًا ليتفهما مثل ذلك الأمر المسمى بالحب.. ربما أحبا شخصًا أيام الجامعة رغم شكي فى ذلك، ولكن كان زواجهما من نوع «الصالونات» زواجًا تقليديًا لا مشاعر

تكونت فيه إلا بعد نشأته سميت بالتعود أو العِشرة.. فالتزمت الصمت.. الكثير من الصمت..

**

15 مايو 2017

عدت من عزلتي قليلًا.. فتحت مواقع التواصل الاجتماعي، رددت على الرسائل كلها بإجابات صريحة لا تزينها المجاملة.. نزلت إلى الجامعة أيامًا قلائل تجاهلت فيها أى شىء قد يحزنني من جديد.. حتى اعتدت الأمر قليلًا، وكعادة الأشياء.. عندما ننساها تأتى إلينا بإصرار!

رسالة جديدة من (محمود تركي) تسارعت نبضات قلبي لتكشف لي فشل الزمن فى إيقاف الشعور الذى اخترق كل جزء من روحي.. فتحتها لأجدها صورة لنا معًا عندما كنا نرقص فى الحفلة.. وأرسل رسالة أخرى بعدها:

«الصورة دي جت لي النهارده من المصور، بتعرفي ترقصي حلو أوي، وكان يوم حلو، أتمنى يتكرر تاني من غير ما تسيبيني وتجري»

ليعود كل شىء داخلى كما كان مسبقًا.. تشتت.. وجع.. صمت.. شرود تام.. أفكار متداخلة.. والمزيد من التفكير.. والنسكافيه...

بعدما عرضت الأمر على سلمى التى فاجأتني أنها سمعت بعض البنات يتحدثن فى الكلية أنه فعل ما فعله فى السنة الماضية مع أكثر من

obeikandi.com

بنت.. وأن لا مكان للمشاعر فى هذا الموقف على الإطلاق.. وبعدما وضحت الرؤية أننا فى منحدر هالك تمامًا.. أنهيت الموضوع بلهجة حاسمة، أخبرته عن كل شىء لا أريد فعله على الإطلاق، وعن أن هذه الليلة كانت كئيبة بالنسبة لي، واعتذرت اعتذارًا مهينًا أنني سمحت لنفسي بتلك الرقصة معه، وبلطف طلبت منه أن ينساني وينسى كل ما يتعلق بي وكأن شيئًا لم يكن.

ليصمت تمامًا كمن يتوقع الرد.. فتحت الصورة أتأملها لتزيدني إرهاقًا وتفكيرًا.. أنا فى كامل أناقتي وفستانى الجميل أضع يديَّ على كتفه وأنظر له فى عينيه نظرة شاردة ولامعة.. وهو يبتسم ابتسامة لم تخلُ من الانتصار وكأنه يزهو بامتلاكي المزعوم.. يضع يده على خصري وكل من حولنا قد توقفوا عن الرقص ليشاهدونا فى ذهول (سارة) الفتاة المحترمة أو المعقدة كما تقول لى شيرين.. ترقص مع شخص لا تعرفه وفى عينيها نظرات حب لا تستطيع إخفاءها.. راودتني شكوك عدة أنه سيستغل الصورة ولكن نفضت هذه الأفكار بعيدًا عن رأسي، فأنا أكثر من يعرف تصرفاته من كثرة مراقبتى له.. هو فقط كان يريد تجربة الأمر وقد جربه، وباء بالفشل لي وحسبت له نقطة فى صالحه، ولكن لسبب ما أردت الاحتفاظ بتلك الصورة فحفظتها على اللابتوب وحاولت تجاهل ما حدث.

**

16 مايو 2017

دخلت أمى فى هذا اليوم الذى امتنعت فيه عن الطعام لمشاهدتى مسلسل «الخواجة عبد القادر» كانت تحمل صينية امتلأت بأطباق الطعام وضعتها أمامي على المكتب، فأوقفت الفيلم لأحاول مجاراتها:

– إيه الدلع ده كله؟

لتنظر لى بلوم، ضحكت وأنا أحاول مجاراتها وأنا أتناول الطعام، أخذت كرسيًا وجلست فى اتجاهي، ونظرت إلىّ بعينين متسائلتين.. لم أستطع منع نفسي من سؤالها ذلك السؤال الذي راودني أيامًا:

– ماما.. أنتِ عمرك ما عملتِ حاجة غلط بشكل متعودتيش عليه؟ أنا عارفة إن كلنا بنغلط، بس عمرك عملتِ حاجة غلط غريبة عليكِ لدرجة إنها فضلت تطاردك فى كل حتة وفضلتى مكسوفة منها؟

نظرت لى أمي بريبة وحاولت أن تتذكر شيئًا قد يزيح عني تلك الغمة:

– آه.. أنتِ عارفة إنى قبل ما أتجوز أبوكي كنت عايقة..

قالتها وهي تستطرد فى الحديث والضحك معًا، عن كمال صديقها في الجامعه الذي انجذبت له لخفة دمه وشكله الذي تميز بالسمنة المفرطة، كما انجذب لها هو أيضًا، وكعادة الأمهات اللاتى يبالغن

في سرد الماضي، تقبلت ذلك بصدر رحب وتركتها تكمل ما بدأته:

– ووافقت أخرج معاه ونحب فى بعض فى السر.. وفى يوم سافرنا إسكندرية لوحدنا من غير ما حد يعرف، وركبنا مركب هو اللى كان سايقها، وقالى هيرجعني بالليل على المعاد اللى بتخلص فيه محاضراتي.

– وبعدين؟

ردت أمي بكل برود:

– خطفني.

لتتسع عيناي فى دهشة ويرتفع صوتي:

– نعم!!!!!!

انتفضت أمي ذعرًا وأغلقت الباب جيدًا حتى لا يسمعنا أبي:

– وطي صوتك هتفضحينا.. مش هحكي حاجة خلاص أنا غلطانة!

نظرت لها بعتاب:

– ما تحكي بقا مانتي خلاص قولتي.. كملي والنبي.

وابتسمت هي وأكملت فى تردد.. تحول إلى شغف:

– لقينا نفسنا فى عرض البحر وهو مش عارف الطريق إزاى، وكل ماأقوله إحنا فين يقولي قربنا، وعاملك مفاجأة.. بعدها بشوية قالي إننا توهنا، بس المهم إن إحنا مع بعض..

صمتت هي انتظارًا مني أن أفهم ما حدث بذكائي، قلت

obeikandl.com

ومازالت عيناي تتسع:

- وعمل إيه؟!

- حاول يعني.. إنه يعني..

- يغتصبك؟!

- عليكي نووووور.

- يا نهار أبيض يا ماما!!!!

- وطي صوتك!! اصبري بس.. هو بقى حاول يحضني ويبوسني وكده وأنا روحت مخضوضة ومن خضتي زقيته ووقع فى البحر.

انطلقت ضحكاتي بصوت عالٍ وأنا أتابع حكايتها بشغف:

- أنا كنت بعرف أعوم وكنت بتمرن من ورا أمي عشان كانت بتشوفها غلط وعيب، خدتها عوم لحد ما وصلت للشط، رجعت البلد تاني بسرعة وبيت عند خالتك صفاء.

مازلت مستمرة فى الضحك حتى رأيت فى عينيها نظرات انتصار من أخرجت مني ضحكة رغمًا عن أنفى.. فسألتها بفضول:

- طب وهو عمل إيه؟

لترد هي بكل برود:

- الله يرحمه، كان تخين غرق ومات.

بدهشة شديدة لم يخلُ منها الضحك:

- مات!!! يعني أنتِ كنتِ السبب فى موته؟!

obeikandl.com

- لا كنت أسيبه يعمل فيا اللى هو عايزه بروح أمك؟

ضحكت مرة أخرى وأنا أسألها:

- طب حسيتي بإيه لما عرفتِ؟

- عادي زعلت وحسيت بالذنب شوية.. وكنت بفوق نفسي لما أفتكر إنه كان وسخ.. بس عارفة أكتر حاجة تعبتني إيه؟

لأصمت أنا وتصيب هي مقصدي:

- إن إيديه ولمسته وحضنه علّموا فيا، عمري ما نسيتهم.. كنت أول مرة أعرف يعني إيه ضعف قدام لمسة.. جسمي فضل فاكر الحكاية دي شهور.. مهما نسيتها بعقلي.. جسمي فضل فاكرها..

دارت عيناي شرودًا بينما هي أكملت:

- لحد ما ربنا كرمني بأبوكي واتجوزنا وطبعًا أبوكي ميعرفش حاجة عن الحكاية دي..

نظرت لي بريبة واختتمت كلامها:

- مش عايزة يعني وجهة نظرك فيا كـ ماما تتغير بعد الحكاية دي.

احتضنتها بقوة وأنا أضحك ضحكًا ممزوجًا بدموع لم تظهر بعد، أخرجتني من حضنها ونظرت فى عيني مباشرة وهي تقول:

- كلنا بنغلط، مفيش غلطة كبيرة وغلطة صغيرة.. وربنا دايمًا موجود عشان يفوقنا فى الوقت الصح.. حتى لو هيفوقنا بوجع بس المهم نفوق..

ومسحت بيدها على خدي دمعة لا تراها وأكملت:

– خليكي فاكرة إن غلطة الشاطر بألف.. فلو وقعتِ وقعة كبيرة اعرفي إنك كنتِ شاطرة لفترة طويلة أوي.. وفلتت منك حاجة على قد تعبك، غلطتي آه.. بس هتصلحي الغلط ده بأحسن طريقة أنا واثقة.

وخرجت لتتركني وحدي، وملامحي تبتسم، تضحك، تشرد، ثم تبكي.

«أنتِ عايزة تفهميني إن بابا وماما مكانوش بيعملوا كده أيام الجامعة»

ظلت تلك الجملة تتردد على مسامعي من كل اتجاه، بعدما حكت أمي لي ما فعلته عندما كانت مراهقة، ربما كانت سلمى محقة.. كلنا بشر وكلنا نخطئ.. وربما لا يكون الخطأ إلا صوابًا متعثرًا.. ربما..

ومن الذي أعطى الحق للأم أو الأب أن يوجها أولادهما للصواب والخطأ إن كانت المسألة نسبية!؟

ولمَ يلومانا على ما فعلاه بأنفسهما مسبقًا، وإن عاد بهما الزمن إلى الوراء لربما فعلا ما فعلاه مجددًا؟.. لمَ لا يتركانا فقط نعيش كما نريد ونفعل ما نشعر به.. دون قيود؟

والكثير من الأسئلة التى لم تهدأ يومًا فى عقلي..

وبالرغم من أنني قد تميزت بأم حنون وأب متفهم.. وطفولة ناعمة

خالية من الكوارث أو العنف نظرًا لأنى ابنتهم الوحيدة.. لكن هذا لم يمنع أبدًا الوجه الآخر من الظهور فى الوقت المناسب، ورغم أنهما يفهمانني إلى حد كبير.. يشاركانني كل تفاصيلي، يشجعانني على أي فكرة أحبها.. ولكن إذا ذُكر الحب أو الارتباط.. فهما آخر من أفكر بمشاركته هذا الأمر القبيح المخزي الفاضح ـ من وجهة نظرهم ـ!

**

18 مايو 2017

في إحدى جلساتي مع نفسي صارحتها بما أحتاجه، بما أشعره.. كنت أشاهد هذا المسلسل (الخواجة عبد القادر) استوقفني فيه مشهد أجبر دموعي على الانزلاق:

– وين السبحة اللي اديتها ليك..

– سبحة.. أهي..

– قلب بني آدم زي السبحة، وإيد ربنا ماسكاه، وكل لمسة.. بنور.. وحب.

– الحب؟ الحب حاسه قليل أوي.

– مو قليل.. الحب مالي الدنيا والآخرة.. أنا جيت ليك قبل ما أسافر.. عشان أقول ليك.. امشي ورا قلبك..

– ادعيلي شيخ.

obeikandl.com

- ربنا ما يقطع نظره عنك يا خواجة، ويرزقك باللي في بالك.. خليك مع ربنا زي السبحة في إيد العابد.. واستنى الحب.

**

أفتقدك يارب.. كم هي صعبة الحياة بدون رضاك.. لم أحاول حتى الاستغفار.. أو أن أفتح صفحة جديدة بيضاء معك.. كنت أشعر دائمًا أن هناك وخزًا فى قلبي لا ينزعه سواك.. لا ينزعه سوى ذلك الظلام الذي أظلم به غرفتي وأفترش الأرض بسجادة الصلاة وأقف بين يديك فى العتمة لا أرى شيئًا سوى نورك غير المرئي، أبكي.. وأحكي.. وأشكي لك دون أن أخاف من ردة فعل أو من أن تأخذ عني فكرة سيئة.. ولست بشخص سيئ يارب..

أخذتني الدنيا عنك.. وأذنبت ذنبًا لم يره سواك، رغم علم الجميع به، كان بالنسبة لهم شيئًا مدهشًا مذهلًا.. لم يسبق له مثيل.. وحدي أنا من رأيته بابًا لمعصيتك.. وحدى من رفضت التقاليد والعادات عن عمد وتمسكت بمبادئ دينك ولكني أفلت كل هذا رغمًا عني..

أفتقد شعور اللذة الذى دائمًا ما تشعرني به عندما ترضى عني، والآن لا أجده فى أى مكان، قلبي أصابته الوخزات وطغى عليه اللون الأسود.. وروحي تتماسك رغمًا عنها حتى تأذن أنت لها بالخروج.. وعيني لا تستطيع البكاء فى حضرة وجودك، تخجل أن تشكي لك شيئًا يغضبك وكأنها لا تدري أنك تعلم كل شيء، ويداي ترتعشان

وأحتاجك أن تشد عليها.. فقط اكتفيت بـ يارب عونًا لى.. فهل تستجيب رغم فعلتي؟ هلا ساعدتني؟

**

20 مايو 2017

بعد كم الأحداث المتداخلة التى حدثت فى هذا الشهر، أرسلت لى سلمى رسالة جعلتني أدرك أن لا مكان للحزن أو الانعزال بعد الآن، لا بد من مواجهة هذا العالم بكل ما فيه من سوء.. جدول الامتحانات!

أهذه صدفة أم أن الامتحانات دائمًا ما تأتى عندما يصيبنا الاكتئاب؟ ولكنني تأكدت أن أحد أعراض الاكتئاب: الامتحانات، وليس العكس!

أخذت نفسًا عميقًا إجباريًا لأنهى تلك الرحلة الكئيبة وأعود مرة أخرى إلى سارة الحقيقية التى عرفها الجميع.. وكتبت آخر ما يخص تلك الفترة على صفحتى التى ازداد عدد معجبيها إلى ألفيّ ونصف..

«خليك مع ربنا زي السبحة فى إيد العابد، واستنى الحب..

الخواجة عبد القادر»

نشرتها وبدأت صفحة جديدة من حياتي، راضية بكل ما فيها من منغصات، يكفي أنها بيضاء..

*****

obeikandl.com

obeikandl.com

2

العقل السليم فى القلب السليم

«What if I can’t hum on key? What if my melodies are the one no body hears? »

13 Reasons Why

obeikandl.com

15 يونيو 2017

«النسيان مش دوا، النسيان مية بنبلع بيها أي حاجة مش عجبانا، كده أو كده هنضطر ندوقها، لو مش بمزاجنا يبقى غصب عننا، أول ما نعطش لأي ريق حلو ساعتها بس هنقرر نشرب مية، الحاجة الوحيدة اللى لازم ندوقها ونبلعها، عاجلًا أم آجلًا، عشان الحياة بتستمر، وهتستمر».

#الموقِف

أحاديث.. ثرثرة.. خيالات لا يراها سوانا، وأصوات تهمس لنا لترشدنا أو تضلنا عن الطريق، ونحن من نختار.. إما أن نحدثها جهرًا حتى نختل، أو أن نشاركها على صفحاتنا اليومية بمعجبيها الوهميين، ليتفاعل أحدهم ويخفف عنا الأمر.. يضغط زر الـLike ليخبرنا أننا لسنا وحدنا ممن فقدوا عقولهم في هذا العالم اللعين، وأن هناك من يشاركنا هذا الأمر برمته.. وإن لاذ صمتًا، واكتفى بضغطة زر.. لنعترف..

نعم، نحن بائسون.. ولكننا لسنا بمفردنا، أبدًا.

**

obeikandl.com

16يونيو2017

آخر أيام الامتحانات وأول أيام الإجازة، كانت الساعة الحادية عشرة ظهرًا عندما أنهينا ذلك الامتحان ومكثنا فى الجامعة لساعة تقريبًا نودع زملاءنا ونلتقط بعض الصور مع مجموعتنا الدراسية وما إلى ذلك من الطقوس السنوية، وبعدها ذهبنا أنا وسلمى وشيرين وناهد لنخرج إلى أى مكان ربما نشاهد فيلمًا فى السينما أو نذهب إلى أحد المطاعم.. ولكن الأهم هو تجمعنا الذي لم يحدث منذ شهرين.. تسامرنا في كل شىء، حدثتنا ناهد عن أيام الخطوبة وكيف تعيش أيامًا سعيدة مع خالد برغم تقلباته المزاجية ونزعة التحكم والتسلط ـ وإن كانت بسيطة ـ التى تميز أغلب الرجال الشرقيين.. وشيرين التى لم تكف عن مغامراتها العاطفية مع كل رجل وجد فيها أنوثة قوية ولمحة من شخصية طموحة مجنونة لا تخشى شيئًا.. وعن سلمى التى تجاوزت أمر زياد بل كانت تنفر من تصرفاته بينما هو لا يبالى على الإطلاق بجرح مشاعرها كل لحظة بالحديث عن فتاته الجميلة سمر، تساءلت وأنا أعبث بهاتفي إذا كانت سمر هذه معنا في الكلية، بينما اكتفت سلمى بهز رأسها نفيًا ولم أرها بسبب انشغالى فى رسائل صفحتى الموقِف، تركتهن يتحدثن بينما لذت أنا بالصمت فقررت شيرين أن تحيدني عنه تمامًا:

- عملتِ إيه مع تركي صح يا سارة؟!

تركت الهاتف تمامًا وأنا أنظر لها فى تعجب وأقول:

- عملت إيه فى إيه؟!

ليكمل فضولها المتطفل أسئلته:

- يعني ارتبطتوا ؟ ولا أنتوا كنتوا مرتبطين أصلًا ؟ كلمك تاني ولا لأ ؟

حاولت أن أتمالك دقات قلبي السريعة أو علي الأقل دموعي الخامدة فى انتظار إشارة الانفجار.. بينما قالت سلمى قبل أن أفتح فمي:

- ما أنتِ عارفة تركي جنتل إزاي ومتربي بره مصر، فعشان كده عرض عليها ترقص معاه، لكن لا ارتباط ولا بتاع.

هززت رأسي في موافقة مستغيثة بذلك الرأي الذي لم أقتنع به على الإطلاق.. بينما شيرين ما زالت تكمل أسئلتها دون رحمة:

- بس معلش يا سارة أنتِ مبتوافقيش تمسكي إيد حد من صحابنا تسلمي عليه.. تروحي ترقصي معاه وتخليه يحضنك ويبوسك قدام الناس!

بينما توقف الكلام فى حلقي أنا وسلمى، وحاولت ناهد إنقاذ الموقف قبل أن يصبح مأساويًا:

- شيرين!! سارة مبتحبش تتكلم فى الموضوع ده!

obeikandl.com

قلت وأنا ألتقط ما تبقى من أنفاسي:

– لا سيبيها عادي أنا مش مضايقة، تقدري تقولى إني مبقتش معقدة، وكمان يا شيرين أنا عارفة أنا بعمل إيه كويس، متقلقيش عليا..

ثم غيرت الموضوع فى براعة:

– وكمان يا بنات.. أنا سنجل حتى الموت وأنتوا عارفين الموضوع ده، أطمن عليكو الأول فى بيوتكو وبعدين أشوف نفسي.

انعطفت أرجلنا يمينًا لنكمل الشارع المؤدي للسينما ونحن نضحك بهيستريا ضحكات مرتابة، لا يعلم بحقيقتها سوانا.. وقبل أن أحكم على حسن أو سوء نية شيرين تذكرت ما قلته لنفسي وكتبته على صفحتي بالأمس «النسيان هي الحاجة الوحيدة اللى لازم ندوقها وهنضطر لده عاجلًا أم آجلًا.. عشان الحياة تستمر.. وهتستمر».

اختلطت أحاديثنا وضحكاتنا وأصواتنا فى منتصف الطريق الخالي من أى إزعاج.. لدرجة جعلتني أنفصل عنهم وأمشي بمنتصف الطريق بمنتهى الطفولة، فقط لأستنشق بعض الحرية.. حينها لمحت بعينيّ سلمى شيئًا لم أفهمه، ربما قلت شيئًا عبثيًا أو... لا أعلم.. نظرات تحذيرية أو ربما معاتبة.. لم أفهم حتى لماذا أشاحت بوجهها عني فى اتجاه اليسار.. كانت عيناها تتسع بشكل غريب، ربما لأننى وضعت سماعات الأذن للتو وتركتهن فى أحاديثهن المملة، أعلم أنها تكره هذه العادة ولكن تلك الأغنية كانت مزعجة وصاخبة لحد كبير.. لدرجة

أننى لم أسمعها ولم أفهم إشاراتها.. حتى عندما اتجهت إليّ مسرعة تزيح بذراعيها ناهد وشيرين اللتين كادتا يسقطان أرضًا وتتجه إليّ في حركة سريعة جعلتني أتخيل أنها ستمر من خلالي!

نزعت السماعات فى فزع من منظرها الذي لم يكن أكثر فزعًا من صوت بوق السيارة الذي مر خلال أذني مختلطًا بصوت سلمى «حاااااسبي»!.

نظرت إلى يساري فرأيت سيارة مسرعة أكثر من دقات قلبي المرتجفة، وسرعان ما ارتطم جسدي بها وقفز إلى الجهة الأخرى من الشارع.. وغرقت فى دمائي.

غبت عن العالم لفترة أخذت فيها أفكارى اللامتناهية وأصوات البنات يستغثن بالنجدة ويحاولن إفاقتي بينما أنا قررت إيقاف الزمن تمامًا.. أذنى لا تسمع الآن سوى هرولة أقدام فضولية ومنقذة، وبعض من البكاء.. وصوت سرينة الإسعاف يعلن إنقاذ الموقف.. ولا شيء بعد ذلك.. وعقلي يجد الإجابة التى كنت أبحث عنها دائمًا لذلك السؤال اللعين، ويلقنني إياها قبل أن أغيب تمامًا عن الوعي.. هذا هو ما نحن مقدمون عليه.

بينما قلبي لم يكف أبدًا عن المعافرة والنبض من أجل لا شيء.. حقًا لا شيء.

**

اهتمام مبالغ فيه لطالما بحثت عنه، تفيض أعينهم دمعًا.. فرحين بأنني مازلت على قيد الحياة، سلمى كانت تقف على يسارى تمسك بيدي لتمنحها الحياة أو ربما كانت تستمد الحياة منها.. وعلى طرف السرير جلست ناهد تنظر إليّ وتتحسس بعينيها ملامحي المنهكة، وشيرين التى جلست على كرسي استقر عليه نظري أمام فراشي نهضت من عليه لتطمئن عليّ، بينما انتقل نظري لأمي وأبي على يميني، يحتوياني بنظراتهما.. وبين كل ذلك.. مازلت لم أفهم شيئًا مما حدث..

انتبهت إلى ذراعي الذي لا أشعر بوجوده ملتفًا بالأشرطة والشاش يغطيان طبقات من الجبس بداخلهما.. وقدمي فى حال أحسن منها قليلًا.. قلت في توتر وصدمة:

- هو إيه اللى حصل، أنا جيت هنا إزاي؟

لتحكي سلمى:

- جيتي هنا عشان مسطولة.

بدأت البنات يتساءلن عن حالتي وعما أشعر به، بينما كنت لا أشعر من الأساس، لترد أمي ختامًا:

- خلاص يا بنات اللي حصل حصل، المهم إنها بخير.

ثم تنظر لي بتوسل.. وتقول:

- مش أنتِ كويسة؟

أمسكت بيدها وابتسمت وأنا أطمئنها، أنني بخير، عدا تلك

الأشرطة الطبية والصداع الذي أكل نصف مخي، ليدخل أبي ومعه الطبيب المختص بحالتي.. ويخبرني أن علىّ الالتزام بالأدوية والمكوث فى المنزل حتى تهدأ تلك البثور والجروح التى ملأت وجهي إن لم يكن جسمي كله، على الأقل شهرًا حتى أستطيع ممارسة حياتي الطبيعية مرة أخرى، وأنهي جلسات العلاج الطبيعي بعد فك الجبس لاحقًا.

نظرت فى المرآة أبحث عن ملائكيتي التى لم أتميز بسواها.. لم أجدها.. لم أجد سوى تشويه لكل طفولتي وبراءتي.. ملامحي التى لم تعرف سوى الابتسامة اللامعة.. تلمع الآن حزنًا ووجعًا.. قبل أن يغطي كل هذا جروح وبثور ستستغرق شهورًا لتعود ملامحي كما كانت.. وتتركني كما أنا.. لا أعود إليّ.. أبدًا..

إجازة سعيدة!

**

لم أدرك وقتها أن هذه السلسلة من المتاعب قد بدأت، وأن جوانب حياتي تتلاشى واحدًا تلو الآخر بمثل هذه السهولة، وهذا ما أدركته لاحقًا.. أما عما أدركته الآن، فهو أن هناك المزيد من المتاعب تكفي الجميع، وما علينا إلا أن نغترف غرفة أخرى من مساوئ الحياة بكامل إرادتنا..

أما عن الحياة.. فنتنفسها لتملأ رئتينا بعوادمها وأمراضها.. ليتراكم كل هذا ليشكل قوة هائلة قادرة على هزم الحياة نفسها التى تنفسناها

للتو رغمًا عنا، فقط لأنها موجودة.. فقط لأنه يجب أن نتنفس.

**

18 يونيو 2017

بعد خروجي من المستشفى عدت إلى غرفتي التى افتقدتها بكل فوضويتها، نظرت لأمي التى استندت عليها حتى وصلت لفراشي وأنا أضحك:

– الظاهر ده ذنب الأوضة اللى متنضفتش، مش ملاحظة كل ماجي أنضفها تحصل حاجة!

تبتسم وتلاحقني بالرد وهي تساعدني في الجلوس على فراشي:

– ولا يهمك يا حبيبتي، أنا هرتبهالك.. ارتاحي أنتِ بس.

ونظرت للابتوب الذي هممت بفتحه وقالت في غضب:

– ممكن ترتاحي بقى وكفاية النت اللى وداكي فى داهية ده؟!

نظرت لها بضجر ممزوج بضحكتى التى لم تفارقني بعد، قلت ساخرة:

– خلاص بقى يا منى، مش همسك موبايل تاني وأنا فى الشارع، بس دلوقتي أنا فى بيتي على سريري، مفيش قطر هيعدي من هنا متخافيش.

لتربت هي عليّ وتتجاهل مزحتي السخيفة وتخرج لتحضر لي بعض الطعام الصحي غير اللذيذ على الإطلاق.. بالرغم من أن لا علاقة بين

هذا وبين مرضي من الأساس.. ولكنها أمي.

**

فتحت صفحتي على الفيسبوك لأجد عشرات الرسائل بعد انتشار خبر الحادثة.. إنه التواصل الاجتماعي.. ذلك الانعزال الذي نعيشه كل يوم تحت مسمى التواصل.. لم يكن أبدًا اجتماعيًا، وإنما كان هروبًا إلى العالم الأكثر راحة.. كذبنا على أنفسنا.. ووعدناها وحنثنا بوعودنا معها.. لا لم نتواصل أبدًا مع ذواتنا.. لم نتواصل أبدًا مع العالم بل اختبأنا.. اختبأنا من عالم كثرت خطاياه وآذانا قبل أن نؤذي نحن أنفسنا.. اختبأنا خلف شاشات مضيئة تظلم ما تبقى من قلوبنا.. وتشتت عقولنا بين أخبار كثيرة متداخلة لا دخل لنا بها.. فقط لنعلم أن هناك متسعًا في رئتينا.. للحياة..

ولذلك تنفسنا الافتراضية واستنشقنا الأوهام.. واندمجنا معها.. تلك الكذبة التى انطلت علينا فصدقناها ولم نستطع أبدًا مواجهتها.. عالمنا.. مؤلم حقًا، عالمنا.. ما هو إلا هروب من أشياء افتديناها، وظهرت أمامنا مرة أخرى بكل عشوائية مرعبة..

نحن.. متألمون.. موجعون.. تضربنا الآلام وتؤلمنا الوخزات.. ولا يفيقنا من هذا إلا هروب مؤقت.. لعالم الـ**Facebook** وما ورائه.

**

اقترب أبي مني برفق ليحتل جانبًا من فراشي، ويسألنى وهو ينظر

obeikandl.com

فى عيني مباشرة:

- حاسة بإيه؟!

لأقول فى سخرية اعتدتها وافتقدتها:

- قول مش حاسة بإيه!

ربت على كتفي في لوم فهمت معناه ولكنني تجاهلته، وقال:

- جبتلك الأدوية.

تنهد أبي قليلًا وقال:

- متمسكيش الموبايل ولا تحطي السماعات طول ما أنتِ ماشية فى الشارع تاني ممكن؟

ابتسمت بمشقة وأنا أومئ برأسي إيجابًا، بينما تنهد أبي وكأنه يريد قول شيء آخر.. تحركت شفتاه ببطء وتردد ثم تراجع، والتزم الصمت.. فقط نظر إليّ نظرات لوم طويلة غير مفهومة.. ثم تركنى وخرج من الغرفة دون أن ينطق بكلمة.

رغم تعجبي لنظراته، ولكني لم أهتم.. وأكملت تصفحي على الفيسبوك وسمعت بعض الموسيقى التى تشرحنا أكثر من الأغاني بقصصها المتعددة.

تصاعد سلم الموسيقى ليزعج تفكيري ويريح قلبي.. وتناغم قلبي مع أنغامه.. وبدأت بالانسجام.. مع تلك الموسيقى..

Yanni – Nostalgia

obeikandl.com

**

25 يونيو 2017

مرت عدة أيام وأنا أتنقل تائهة بين أقراص الأدوية والمسكنات والعلاج الطبيعي، أضيع وقتي على الإنترنت وفي كتابة خواطري على الصفحة التى ارتفع تفاعلها مؤخرًا عندما وضعت عليها صورتي بذراعي المختبئ داخل الأشرطة والجبس، أشاهد الأفلام حينًا، أحادث أصدقائي حينًا.. ولا أتحرك من مكاني أبدًا..وفي نهاية هذا الأسبوع الكئيب طُرق باب غرفتي، لتدخل سلمى عليّ بباقة رقيقة من الورود البيضاء وتنظر لي في براءة وهي تقول:

– هنفضل عيانين كده كتير ولا إيه؟!

اتسعت عيناي وحاولت النهوض من على فراشي بصعوبة بينما هي أسرعت وأتت لتجلس جنبي، أخذت منها الورد وأنا أضحك وأتجاهل كلًا من هاتفي واللاب توب وأندمج معها.. بعد أيام طويلة من الوحدة.

استهلكنا وقتنا فى ثرثرة البنات غير المفيدة التي افتقدتها على أي حال، بعض من النميمة غير المقصودة على كل من نعرفهم، وبعض التفكير والخيالات التى لم تكف عن مطاردتنا قبل أن نطاردها نحن، حتى تطرقنا للحديث عن زياد وتركي، عندما سألت سلمى عن آخر

أخبارها مع زياد:

- عادي يا سارة أنا نسيت الموضوع أساسًا.

لأنظر لها نظرة ثاقبة تجعلها تضحك رغمًا عنها وأنا أقول:

- على ماما يا بت؟

لتتنهد وتقول بأريحية وبساطة شديدتين:

- سارة.. زياد ده مكانش حب ولا حتى تركي ده أنتِ حبتيه، ده اسمه كراش، إعجاب، تعلق.. الحب لما ييجي هتعرفيه وهتقولي ده أول حب في حياتي..

فركت يديَّ وتحركت عيناي في كل مكان لتستقر عليها بطفولة وقلت:

- يعني تركي مكانش حب؟

لتهز رأسها نفيًا وهي مبتسمة، فأسألها مرة أخرى:

- ولا كريم؟

لتهز رأسها مرة أخرى وهي تقول:

- ده بقى متكلمتيش معاه ولا مرة وكنتِ مستنياه يحبك وييجي يعترف

لأكمل دون اكتراث بردها:

- ولا أمجد؟

لتقول هي:

- أمجد ده عرفك من عالفيس وكان بيسأل عليكِ وكلامكو دايمًا بينتهي بـ «يارب دايمًا» حبتيه امتى والنبي!

- ولا سامح؟

- والنبي؟ سامح ده..

لأقاطعها وأنا مازلت أتحدث بصوت طفولي للغاية:

- ولا محمد؟

لتنظر لي بتعجب:

- محمد مين!!

- مش عارفة بس أكيد حبيت واحد اسمه محمد.

لتخطف باقة الورد من جنبي وهي تنظر لي باشمئزاز:

- تصدقي أنا غلطانة إني جيت أقعد معاكي؟

انفجرت فى الضحك وأنا أرجوها أن تجلس مرة أخرى وأعتذر بنفس نبرة صوتي الطفولية، ابتسمت لي وهي تعيد ضفة الحديث إلى مرساها مرة أخرى فتقول:

- كلها شهر بالكتير أوي وتركي هيبقى بالنسبة لك ولا حاجة صدقيني، زي الليسته اللى قبله.. لكن الحب؟ الحب لسة مجاش.. لما نحب بجد هنعرف، بس صدقيني كل ده هبل.. وأنا وأنتِ هُبل الحمدلله وما بنصدق.

مددت لها يدي اليمنى التى لم تأخذ نصيبها من الجبس، ووضعتها

obeikandl.com

على يديها وأنا أقول بنبرة رومانسية لا تتناسب مع كلماتي إطلاقًا:

- سلمى حبيبتي.. طبطبي على إيديا عشان أنا دلوقتي عندي إيد واحدة وعايزة أبقى رومانسية وكده.

لتتحول ابتسامتها إلى نظرة ملل أغرقتني في المزيد من الضحك بينما هي نهضت من جانبي لتجلس على مكتبي وتنادي على أمي بصوت عالٍ اعتادته منها:

- يا أم سااارة، هاتيلي حاجة آكلها عشان أمشي.. أنا جزمة إني جيتلكو أساسًا.

بينما غرقت أنا فى طفولتي أكثر، أضحك وأنا أنظر لها وأداعبها بعيني المرحة.. مطمئنة لما هو قادم.. مادامت هي معي.

**

10 يوليو 2017

أصبحت أجلس وحدى فى الغرفة مع الهاتف واللابتوب.. أتابع العالم من خلال شاشات إلكترونية، أنتظر أن يُفتح باب غرفتي لأجد أحدهم قرر زيارتي والاطمئنان عليّ.. يطمئنني ويضحكني ويثرثر معي حتى أنسى الوجع.. ويغلبني النوم فأستسلم له وأستيقظ لأبدأ معركة جديدة سُميت بالحياة، وخلال أيام اعتاد الجميع هذا الوضع فاختفى اهتمامهم.. وأصبحت فقط أنتظر التعافي لأواجه العالم مرة أخرى..

ورغم أنه كان بإمكاني الخروج إلى الشارع ولو قليلًا ولكني لم أفعل.. ربما سعيًا لمزيد من الاهتمام، أو ربما فقط اعتدت الركود والكسل.

انشغلت سلمى عني فترة لمرض والدتها بالسكر وترددهم على الأطباء ومعامل التحاليل.. وانشغل البقية لأعذار أخرى، أو ربما رأي الجميع أن زيارة أو مكالمة واحدة تفي بالواجب.. لم أكن أبحث عن اهتمام.. كنت أبحث عن نفسي داخلهم.. تملكني الخوف من القادم فطلبت عيناي المساعدة بدموع لم تتحرك.. شعرت أحيانًا أن كل هذا محض كابوس سينتهي وسأستيقظ وكأن شيئًا لم يكن..

وأصبحت رسميًا وحيدة.. حتى أبي كان كل دوره فى هذه الرحلة تكاليف العلاج.. تغير أبي كثيرًا.. ولم تنشغل أمي بسواي.. ربما هي الوحيدة التى ساعدتني على النهوض من كل هذا.

فتحت صفحتى التى يزداد معجبوها سريعًا.. نحو أربعة آلاف معجب.. لأكتب..

«عجزت عن تحمل وجع رآه الجميع بسيطًا، وحزنت بسبب مواقف سخر الجميع من تفاهتها.. ولما أخذ المرض مني منتهاه، وتآكل عقلي بكثرة التفكير وقلة النوم.. أدركت حينها أنني أتحدث لغة أخرى، لغة لا يفهمها سواي.. ولن يفهمها أحد غيري.. لغة أهم قاعدة فيها أن الأحرف تتشابك لتطمئننا.. وأن الجمل الفريدة التى لا ننساها أبدًا ليس لها محل من الإعراب، وأن الحياة مهما استحالت إلى

جحيم.. فبداخلنا تكمن الجنان والنعيم، ولم يتبقَ سوى أن نجسدها فى واقعنا الممل.. حتى نصبح ما نريد».

**

12 يوليو 2017

قضيت فترة طويلة من الصمت المغلف بابتسامات كاذبة، وثرثرة تضغط على أوتار الملل كما تضغط على أعصابي، واحتل حياتي الكثير من الأفلام القديمة، والمسلسلات الأمريكية.. كان نصيبي من التفكير يصب اليوم فى مسلسل **reasons why** 13.

عندما دخل أبي كعادته ليطمئن عليّ ووجهه عابس ـ دون سبب ـ ولكني اعتدت ذلك مؤخرًا.. وبعد أسئلته الروتينية رأي شاشة اللابتوب متوقفة على المسلسل فسألني بفضول عما أشاهد:

– مسلسل بيحكي عن واحدة انتحرت عشان 13 سببًا وسابت شرايط وراها لكل الناس اللى أذتها فى حياتها عشان تعرفهم هي انتحرت ليه.

نظر إليَّ طويلًا نظرة لم أفهمها وسألني مرة أخرى:

– سابت منهم لأهلها؟!

هززت رأسي نفيًا، بينما بدا منتصرًا وهو يمسك بطرف الخيط متحديًا:

- يعني تعمل عملة زي دي وحتى متعرفش أهلها ليه وتحسسهم بالذنب؟!

- لا هي متقصدش تحسسهم بالذنب ولا حاجة، هي خافت ليزعلوا منها.

فاستطرد هو قائلًا:

- وهيفرق في إيه زعلهم بقى إذا كانت مخدتش رأيهم في حاجة زي دي.

تحولت عيناي إلى علامة استفهام ومالت رأسي في عدم فهم.. أبي.. المدير الحازم والأب الصارم.. يجلس معي ويناقشني في مسلسل كأنه قضيته الخاصة.. قلت فى سخرية اعتادها مني وأنا أداعبه:

- إيه يا بو الصُلح أنت اندمجت ولا إيه؟!

لينزع يدي فى قوة وملامحه تتحول إلى الغضب، وقبل أن أنطق بكلمة بدأ هو ثورته الخاصة:

- لا الظاهر أنتِ اللى اندمجتي يا سارة.. وفكرتي عشان أنا بتعامل معاكي بحرية يبقى خلاص هتدوري على حل شعرك!

نظرت لذراعي الذي لم يكد أن يهدأ وجعه من فرط العلاج والأدوية ثم نظرت له فى صدمة من كلامه:

- حل شعري؟! في إيه يا بابا أنا مش فاهمة حاجة!

ليكمل بنفس ثورته وهو يمسك بهاتفه يفتح صورة عليه ويضعها

أمام عيني وهو يقول:

- أنتِ اللى تفهميني.. إيه ده!!

نظرت لأجدها صورتي مع تركي!!! قلت في محاولة فاشلة لتهدئة الأمر:

بابا الموضوع مش زي ما أنت فاهم سيبني أشرحـ..

لتتحول ثورته إلى حرب عالمية:

- أنتِ تخرسي خالص، أنا صبرت عليكِ الفترة اللى فاتت دي كلها عشان تعبك لكن خلاص..

قاطعته قبل أن تتحقق توقعاتي:

- طيب أنا هعمل كل اللى أنت عايزه، بس ممكن أعرف الصورة دي جاتلك إزاي!!

ليرمي هاتفه أرضًا بعصبية مبالغ فيها:

- جاتلي زي ما جاتلي، أنتِ اللى تقوليلي مين ده؟! وبتعملوا إيه غير الأحضان والضحك قدام الناس، بتعملوا إيه فى السر يا بنت الكلب!!

أنهي كلامه بصفعة قوية على وجهي جعلت ذلك الأمل الطفيف فى التعافي نفسيًا يختفي، وأظلم ما تبقى داخلى من نور يرتعش..

هدأت ملامحه قليلًا بعد تلك الضربة، فى علامة ندم واضحة استكبر أن يظهرها، ولكني رأيتها.. ساد الصمت لدقيقة لم أستطع فيها أن أرفع عيني، حينها.. أغلقت أمي باب الشقة ورمت تلك الأكياس

التى أحضرتها من السوق على الأرض وهرولت إلينا محاولة تهدئة تلك الثورة، بينما أنا بدأت استيعاب تلك الصفعة التى أنزلت دموعي رغمًا عني، تحسست وجهي الساخن من فرط الألم.. ولم أنتبه لعصبية أبي وكلماته المتلاحقة ولكني انتبهت إلى أمي وهي تحاول احتواء الموقف:

– ولا أي حاجة من اللي في دماغك، الولد زميلها فى الكلية ورقص معاها وسط الناس وهي حتى قالتله بعدها متعتبرش إن في بينا حاجة، وقطعت علاقتها بيه لما حست بالذنب.

نظرت لها متعجبة، متسائلة.. بينما ازدادت ثورة أبي:

– لا ولسه هتحس بالذنب أكتر

ثم نظر لي والشر يتطاير من عينيه:

– بتعيطي؟ أنتِ لسة شوفتي حاجة، موبايلك أنا هاخده وهاخد اللاب ده هرميه فى أي خرابة ومفيش نت، مفيش خروج، ولو أنتِ فاكرة إن البيت ده مالوش راجل أنا هعرفك إزاي تقرطسيني!!

قالت أمي بعتاب:

– بس هدي نفسك ياخويا.

اختتم ثورته بنبرة غاضبة لم تهدأ لثوان:

– كلامي واضح؟

خرج وأغلق الباب بقوة أبكتني.. احتضنتني أمي وهي تحاول ـ فاشلة ـ أن تهدئ من روعي.. أبكي وآلاف الأسئلة تدور في بالي.. أهمها

كيف وصلت الصورة لأبي؟ كيف عرفت أمي كل تلك التفاصيل؟ ولكن لساني أبى أن يتفوه بكلمة واحدة.. فقط البكاء والمزيد منه.

**

وجدت نفسي وحدي، دون أي وسيلة تواصل حقيقية أو افتراضية.. أقنعته أمي أن يترك لي اللاب لأصب عليه وحدتي، وفعل.. ولكنه قطع عني الإنترنت.. ما الفائدة إذن؟!

وفي لحظة صمت داخلية وقفت أمام المرآه أنظر إليّ بحسرة على حالى، تحسست ذراعي الذي التوى بسبب عنف أبي معي!

بكيت كثيرًا، بل لطمت وجهي وأنا أصرخ قهرًا مستغيثة بأي شيء أو أي شخص.. ولا أحد يغيثني أبدًا..

أجلت أمي الحديث معي عن الموضوع وشرح ما آلت إليه الأمور وتفسير معرفتها بكل هذه التفاصيل والأهم.. معرفة أبي بتلك الصورة.. أجلت كل هذا حتى يذهب أبي للعمل غدًا.. شغلت نفسي بمشاهدة الأفلام والمسلسلات، ودون الحاجة لإنترنت استطعت مشاهدة المسلسل مصطنعة أنني لا أبالي بشيء على الإطلاق..

توقفت قليلًا عند المشهد الذي نشرت فيه البطلة قصيدة شعر فى مجلة جامعتها.. بعد يأسها من أن تحيا الحياة التي تتمناها، فشردت وأعدت تشغيل هذا المقطع مرات ومرات..

«What if I can't hum on key?! what if my melodies are the ones no body hears?!»

احترت فى الإجابة مثلها تمامًا.. ماذا لو لم أستطع مجاراة النغم والتيار؟ ماذا لو كانت موسيقاي الخاصة لن يسمعها أحد؟... احترت فى أمري أكثر ما احترت لذلك التمثيل الذي لمسني، وبشدة.

إذا كان لديها 13 سببًا للانتحار، جعلها تترك كل شىء قد عافرت من أجله وتذهب إلى حتفها، فقد أجد أنا أكثر من خمسين سببًا للانتحار ومع ذلك لم أفكر فيه مطلقًا.. بغض النظر عن الأسباب الدينية، ولكنني بشكل ما أكره الاستسلام، أكره الخنوع والضعف.. أكره نفسي الآن.

**

13 يوليو 2017

جاءت إلىّ أمي تحمل ذلك الخبر السعيد.. خرج أبي للتو معلنًا الحرية المؤقتة، استجوبتها عن كل الأسئلة التى دارت فى رأسي طوال الليل.. تمامًا كالمحققين، وبتحسر شديد بدأت في السرد:

– بصي يا سارة وأنتِ فى المستشفى جيت أجيبلك حاجة تباتي بيها لقيت اللاب بتاعك مفتوح قلت أقفله.. أنتِ عارفة إني مبفهمش فى الكمبيوتر أوي يعني فقعدت أدور بيتقفل منين لقيت الصورة فى وشي معرفش طلعت منين.

لأرد أنا بتعجب شديد:

- إزاي يعني!!!

لتقول بتردد:

- غالبًا يعني.. أنتِ كنتِ فاتحة اسمه إيه ده.. الفولدر بتاعك اللى فيه حاجتك وأنا بدل ماقفل فتحت الصورة.. معرفش أنا فجأة لقيت الصورة في وشي

لأقول أنا بسخرية:

- اللهم صلِّ عالنبي، وطبعًا نسيتي تقفلي الصورة لحد ما بابا دخل وشافها صح؟

لتومئ برأسها نفيًا وتقول بتردد:

- لا.. نسيت أقفل الباب!

قلت بتعجب وعدم فهم:

- يعني إيه؟!

- يعني أبوكي كان ورايا أصلًا ودخل وأنا محستش بيه أنا أول ما فتحت الصورة اتخضيت وفضلت بصالها شوية، لحد ما لقيتلك حد بيتكلم فى قفايا وبيزعق وقوم الدنيا ومقعدهاش

لطمت جبيني فى حسرة على غبائي، فقبل أن أنزل للامتحان يومها تأملت الصورة وتركت كل هذا مفتوحًا وخرجت فحدث ما حدث..

عرفت من أمي أنها حاولت تهدئته وأقنعته بصعوبة أن يؤجل هذه الحرب حتى أتعافى ويطمئنا عليّ، وافق وأخذ تلك الصورة إلى هاتفه

obeikandl.com

فى ذكاء لم تعد أمي له حسابًا ولم يقتنع حتى بأي مبرر حاولت تصنعه، فاضطرت أن تفتح صفحة الفيسبوك الخاصة بي التى كانت ـ لغبائي ـ مفتوحة وبعد عناء فى البحث عن هذا الراقص المجهول وجدت الرسائل بيني وبين تركي واكتشفت أن لا علاقة تربطني به سوى تلك الرقصة، أخبرت أبي بذلك ولكن عقله توقف عند هذه الصورة فقط ولا يريد استيعاب أي شيء آخر.. ومن هنا تحول، طال صبره حتى رآني أتعافى تدريجيًا فى نحو شهر ونصف، وفى كل مرة يوشك أن يفتح الموضوع، يتردد فيذهب دون أن ينطق بكلمة، رأيت ذلك فى تردده وعينيه المتسائلتين كلما جاء إليّ، فتتحرك شفتاه آخذة قرار التحدث، بينما يتراجع عقله فى لحظة ويعود لسانه أدراجه.. فيصمت.

**

20 يوليو 2017

مراهقة عشرينية.. تشعر بما لا يشعر به أحد سواها، تحلم بأحلام تعلم جيدًا أنها لن تحققها، ويأتي الواقع ليسحقها أرضًا بسبب أخطاء لم ترتكبها، وربما ارتكبتها ولم تستمتع بها.. فماذا سيحدث إذا استمتعت بها؟!

لوهلة.. تخيلت حياتي كما يجب أن تكون.. عائلة متحررة من قيود مجتمع أعمى أنظارها عن الحقيقة.. واكتفت فقط بإشارات قلوبها طريقًا لتسلكه، رقصة جميلة أنهيتها بسعادة لم يشوبها توتر.. وأصدقاء

يفهمونني جيدًا ولا حاجة لي لحجب أصواتهم بسماعات الأذن، اهتمام متوقع من جميع من اهتممت لأمرهم يومًا.. وحب حقيقي لم يتخلله خوف أو رجفة، فقط رعشة أصواتنا بشوق، ولهفة رقيقة تزيدنا براءة وجمالًا.. لوهلة انفصلت عن العالم، أغمضت عيني وأطلقت لقلبي العنان ليدق فى الاتجاه الصحيح، تخيلت لو أن كل هذا لم يحدث.. لو أن حياتي كما يجب أن تكون.. كانت! لو أنني أمتلك الخيار لاخترت المستحيل، لو أنني أستطع محو كل ما حدث لبدأت من جديد..

فتحت عيني فجأة مدركة لشيء واحد.. قلت بصوت مسموع رغم أنني وحدي:

- أنا أوفر!

وجدت فى هذا الحل لكل مشاكلي.. إذا كان كل هذا العبث يحدث لي بسبب موقف لم أستمتع به حتى.. فهذا يعني أن... صحيح؟ أم أن هذا جنون؟!

هجمت أفكاري من كل اتجاه على كل موضوع حتى أصبت بصداع.. تجاهلته ونهضت من فراشي فورًا إلى مكتبي أخذت ورقة من ضمن الأوراق الكثيرة التى ركنتها حتى أكلها الغبار..

أنهيت الورقة وأخذت أخرى وأخرى.. مكثت لساعتين أكتب كل ما يدور فى عقلي، كل الحلول الممكنة، كل شيء خشيت قوله، وكل شيء منعت نفسي من التفكير فيه، كل شيء..

وبعدما أصبح عندي حصيلة أوراق امتلأت بالكتابات والاعترافات.. طويت الأوراق بشكل مناسب، وأخرجت بعض أظرف الخطابات التى ملأت درج مكتبي.. ووضعت كل واحدة فى ظرفها.

كانت الساعة الخامسة مساءً عندما دخلت إلى غرفة والدي الذي كان فى العمل ولن يعود قبل الحادية عشرة، وضعت على فراشه خطابًا منها وبدلت ملابسي وخرجت من المنزل بعد إقناع أمي أنني سأعود مبكرًا، تجاهلت إحساسي بالحرية.. ورؤيتي للشارع بعد نحو شهرين أراه من نافذتي الصغيرة.. تجاهلت إحساسي بالخوف وترقب عقاب أقصى مما أخذته.. فقط ركزت على إحساسي بالحماس والرغبة الشديدة فى التحدي.. أوقفت تاكسي إلى مكان أعلم جيدًا أنه لن ينتظرني:

- نادي الصيد؟

ورغم ما أمر به من وجع جسدي مازلت أتعافى منه، ورغم وجهي الذي امتلأ بآثار جروح تعافت ولكنها لم تختفِ بعد، قررت تجاهل كل ذلك.. استجمعت أنفاسي ونظرت إلى الخطابين في حقيبتي.. ولم يمر الكثير.. حتى حققت المشهد المنشود..

كان محمود تركي خارجًا من النادي وعندما وجدني أمامه بمتر ونصف تقريبًا مبتسمة، اعتلت وجهه علامات الدهشة والتعجب..

- سارة؟!! إزيك، أنتِ بتعملى إيه هنا؟

حاولت يدي أن توترني بينما وضعتها فى جيب الجاكيت وعدّلت من ملامح وجهي المهزوزة لأصبح واثقة، أعلم مرادي جيدًا.. وبكل ثقة:

- جاية عشانك.. أنا عارفة إنك بتخرج من النادي فى الميعاد ده، وكنت عايزة أقولك على حاجة متنفعش تتقال عالفيس فقلت آجي وأقولهالك بنفسي..

أخرجت من حقيبتي خطابًا أعطيته له في ثقة مني، وتعجب شديد منه.. سبقته وأجبت على تساؤله الذي لم يتفوه به بعد:

- الجواب ده بعترفلك فيه إني كنت بكراش عليك.

لأرى على وجهه صدمة لم أرها مسبقًا في أي شخص بينما أكملت بنفس الحزم لأدخل إلى أصعب جزء فى هذه المحادثة:

- لما تقرا هتعرف إني اتحبست فى البيت بسبب الصورة اللى أنت بعتهالي، لا واتضربت كمان من أبويا اللى عمره ما مد إيده عليا، واللى هعمله دلوقتي هو ميعرفش عنه حاجة.

بترقب وصدمة رأيت فى عينيه تساؤلًا عن صفعة سأصفعها له أو ربما أكثر من ذلك.. ولكني.. وبكل قوة.. خيبت كل توقعاته:

- لما حضنتك ورقصنا كنت متوترة وروّحت معيطة ومعرفتش أتبسط.. معرفتش أستمتع باللي الدنيا بتحاسبني عليه..

ليرد بتردد:

- سارة أنا آسف أنا مكانش قصد....

قاطعته ليس بكلماتي ولكن باحتضان! احتضنته بشدة لدرجة حولت صدمته إلى صاعقة وربما شلل!؟.. احتضننته ولم أهتم لأمر الناس التى توقفت تنظر إلينا، مرت ثوانٍ لأختلعه من حضني كما اجتذبه ونظرت له فى عينيه هذه المرة.. وعلى مقربة من أذنيه همست:

- كده أنا اتبسطت، وأقدر أرجع أستحمل عقاب أهلي والناس على حاجة عملتها بكامل إرادتي وهفتكرها وهضحك..

ابتعدت قليلًا.. لأرمي آخر قنبلة جئت لأفجرها:

- الحاجة التانية...ياريت لو هتنسى كل اللى حصل وهتفتكر حاجة واحدة فتبقى الجملة دي «مشوفش وشك فى حياتي تاني»

تحركت يداه وعيناه وشفتاه مترددتان فى نطق أي كلمة بينما اكتفى لسانه بكلمات غير مفهومة:

- ا.. مـ..كن.. بس..

وبنفس الحزم تحركت لأختفى من أمام وجهه إلى الأبد، أوقفت تاكسي، دخلت واختفيت فيه وأنا أراه في المرآه مصدومًا ينظر إلى خطاب فى يده يتوسم فيه أن يخفف عنه صدمته.. بينما بدأت أنا فى البكاء.. لأخرج من قشرتي.. وأعود إلى ضعفي مجددًا.

**

توقف التاكسي أمام بيت سلمى التى تسكن بالقرب مني، وجدتني

فجأة أمامها أبكي في حضنها ودموعي تختلط بابتسامة لم تفهمها، سردت لها من وسط تنهيداتي كل ما حدث خلال الفترة الماضية.. أنهيت تلك النشرة لأجدها هي تضحك بشدة، مصدومة، غير مصدقة أنني عندما أعطيت نفسي حرية الاختيار.. اخترت أن أفعل كل هذا.. رد فعلها كان هيستيريًا:

- وبتقولي عليا أنا مجنونة وطقة؟! يخرب بيتك!!! زمان الواد بيضرب أخماس في أسداس.. يخرب بيتك.

لتصمت قليلًا وأنا مبتسمة أتنهد.. ألتقط أنفاسي.. ثم تتحدث مجددًا والكلمات تنطلق منها بشكل جنوني:

- وأبوكي!! أبوكي اللى عمره ما ضربك؟ طب لو رجع البيت ملقاكيش هتعملي إيه؟ يا نهارك أسود يا سارة.. أنتِ مش أوفر أنتِ مجنونة!!!

ضحكت وشاركتها فى ضحكتها بينما أخذت أنفاسي موضعها الصحيح وبدأت أفسر لها ما غاب عنها:

- صارحته.. قولتله إني كبرت ومش هقدر أحكيله كل حاجة بتحصل فى حياتي، بس وقت ما يطلب تفسيرًا مني لأى حاجة عملتها هفسرله..

أمسكت سلمى بيدي وهي مبتسمة، وعيناها امتلأت فخرًا بقراري.. بينما أنا رأيت كل هذا عاديًا، فقط قررت أن أريح عقلي من

صخب فوضاه التى اختلقها لنفسه، لا شيء سوى ذلك..

ثم قالت مداعبة لي :

- وأنا ماليش جواب بقى في كل دول؟

لأخرج من حقيبتي آخر خطاب.. وأنا مبتسمة بينما هي متفاجئة.. فتحته لتجد الورقة عبارة عن قلب كبير كتب فيه بخط صغير جدًا فى المنتصف «بحبك وكده» تمامًا كرسومات الأطفال..

ضحكت بسخرية وهي تقول:

- وكده؟ دي اللى هي الـinfinity يعني؟

لأهز رأسي إيجابًا وأنا أضحك، واكتفى لساني من الكلمات.. فقط أسئلة بسيطة لأطمئن على والدتها التى تمكث معها فى المنزل دون أن تتحرك من جانبها.. فأمها امرأة ستينية جميلة لم أر لها مثيلًا، وكان شاقًا عليها المجهود أو الحركة لذلك تكفلت سلمى بكل ذلك، فبعد وفاة أبوها لم يعد لسلمى خيار من أن ترعى والدتها الرقيقة رغم شدتها وحزمها على سلمى أحيانًا كثيرة.. بدت سلمى قلقة عليها، كما بدت مطمئنة بوجودي إلى جانبها، مثلي تمامًا.

**

ذهبت إلى المنزل فى التاسعة تقريبًا.. وأنا مطمئنة لنجاح كل خططي، وبكل ثقة فتحت الباب لأجد أبي يقف أمامي.. ينظر إليّ.. وفي يده الخطاب الذي تركته له، ينظر لي بحزم.. نظرت له بأسف وقلت دون

obeikandl.com

تردد:

- ممكن قبل ما تعمل معايا أي حاجة أحضنك بس الأول؟!

ودون استئذان ارتميت فى أحضانه دون أن أنتظر تعاطفه، فقط قلت من داخل حضنه الذي احتواني رغمًا عن غضبه مني:

- عشان أنت وحشتني أوي، ووالله العظيم ما هزعلك تاني أبدًا.

لأجد يده تتناغم مع موسيقاي الخاصة وتربت عليّ بحنانه الذي افتقدته، وهو يقول بنفس الحزم الذي لا يتناسب مع كلماته:

- وأنتِ كمان.

لتخرج أمي من المطبخ وتجعل الموقف أكثر كوميدية:

- طب ما أنتوا حلوين أهو أمال ليه جو الأكشن وأحمد السقا اللى لبسك ده علي البت المسكينة

ليعبس وجه أبي مرة أخرى.. بينما أنا أضحك بشدة وأنا أنظر لها بكل علامات التحذير:

- خلاص بقى يا ماما بقى.. بابا معاه حق، أنا غلطت ولازم أتعاقب.

وبمنتهى التلقائية والرومانسية التى لم أقصد أن أحرز بها هدفي.. نظرت له بحب:

- لو هتعاقبني بالموبايل والنت والخروج أنا موافقة، متعاقبنيش بإنك متتكلمش معايا ممكن؟

نظرنا له أنا وأمي فى توسل بينما هو ابتسم أخيرًا ليعلن تسجيل هذا الهدف الذي أحرزته للتو:

- أنتِ عارفة طبعًا إن.. موبايلي.. باظ طبعًا.. فخدت بتاعك وهجيبلك واحد أحسن منه لما أتأكد إنك مش بتثبتيني، عشان أنا بتثبت بسرعة.

ضحكت وأنا أحتضنه مرة أخرى، بينما أمى لم تكف عن سخريتها:

- إحنا آسفين يا صلاااح.

لأحتضنهم في حضن جماعي امتلأ بدموعي التى لم أستطع إيقافها، وقلبي الذي استقر مكانه ولم يقفز نابضًا بالتوتر والخوف.. وضحكتي التى عدت أراها مشرقة، متناغمة.. راضية بصفحة أخرى من الحياة.

**

obeikandl.com

3

من أقسى خيارات الحياة: إما أن نعيش، أو أن نتعايش.. لا خيار للموت هنا.

«واحضنيني عالمشاع»

مصطفى أمين ـ الرقصة الأخيرة

obeikandl.com

7يوليو 2017

رفع أبي الحصار عني شيئًا فشيئًا واستعدت بعضًا من حريتي بمرور الوقت، فى خلال الأسبوعين الفائتين ارتفع معجبو الصفحة إلى ستة آلاف ونصف تقريبًا، مما أثار فضولي لأعرف السبب وجدت أن أكثر المنشورات تفاعلًا..هو ذاك الأخير

وها قد أخذت الصفحة طريقها للانتشار.

**

أول خيط للنجاة من آثار الماضي هو تحديد المستقبل، قررت أن أمحو كل الآثار الماضية بأهداف وأحلام جديدة، وضعت نصب عينيَّ هدفي الآن.. معرفة أناس جدد، وها أنا أبدأ متصالحة مع كل ما فات راغبةً فى ما هو آت.. وبالفعل..

حدثت رانيا فى التليفون أحكي لها كل ما حدث فى حياتي الفترة الماضية، وبدون مقدمات أخبرها أنني نويت التغيير، وأول تغيير قمت به هو إدخالها فى كل هذه التفاصيل، رغم أنها لم تكن بالصديقة المقربة التى ستساعدني ولكن لن أضغط على سلمى أكثر من ذلك، يكفيني

obeikandl.com

أنها بدأت تتنفس بحرية بعد تعافي والدتها.. استجابت رانيا وفرحت بعد اندهاش وذهول مما أخبرتها به.. وقررت أن تمد لي يد المساعدة على طريقتها الخاصة:

- خلاص سيبيلي نفسك أنا هظبطك، بكرة الساعة 6 بليل جهزيلي نفسك والبسي حاجة حلوة هاخدك أعرفك على ناس هتحبيهم أوي.

قالتها بحماس مُعدٍ.. أغلقت الخط فرحة متحمسة.. لحياتي الجديدة.

**

28 يوليو 2017

في اليوم التالى أخذتني رانيا إلى كافيه اجتمع فيه أصدقاؤها.. نظرت إلى أربعة أشخاص اجتمعوا على طاولة يتفحصونني باهتمام، بينما هي تقدمني إليهم:

- سارة يا جماعة اللى حكتلكم عنها..

ثم نظرت إليّ وهي تشير إلى كل منهم، وتحدثني بشغف:

- سارة دي مريم، معانا فى الجامعة بس فى آداب.. وده أحمد فى حقوق عين شمس قدنا برضه.. ودي رؤى في كليتنا بس لسه فى سنة أولى، وسيف متخرج السنة دي ولسه بندورله على شغل.

- طب ما تدوروا لي على شغل معاه.

ليرد هو عليّ دون البقية:

- أنتِ هتتخرجي السنة الجاية؟

لأجيبه بالموافقة بينما يقاطعنا الجرسون ليأتي لنا بقائمة الطعام، ويأخذ طلباتنا بينما تسألني رانيا عن سبب انقطاعي عن الكلية السنة الفائتة لأرد وأنا أضحك:

- أصلي حبيت الموضوع أووي..

وغرقنا جميعًا فى الضحك، فيما عدا سيف الذي توقف عن الضحك فجأة ليوجه كلامه لرانيا بصوت خافت:

- هي علطول مهيبرة كده؟

لأقول أنا بمرح اعتدت عليه:

- سمعتك على فكرة.

ليبتسم هو فى حرج بينما ترفع رانيا هذا الحرج بقولها:

- سارة دمها خفيف أوي.. عاملة صفحة اسمها الموقِف بتكتب عليها سكريبتات حلوة أوي وبتضحك.

ليوجه أحمد كلامه لي لأول مرة:

- إيه ده.. هو أنتِ اللي عاملة صفحة الموقف؟؟

تابعت نظرات إعجابهم التى أنعشتني، وأجبت بهدوء وثقة غير مسبوقة عن كل الأسئلة، أخذت الميكروفون من الجميع وتحدثت كأهم من فى الجلسة... بينما أتى الجرسون ليضع لنا الطعام، وتستمر أحاديثنا وثرثرتنا وتأخذ ضحكاتنا إلى المالانهاية:

- مفكرتيش تغيري اسمها؟

obeikandl.com

قالتها رؤى وهي تأكل سريعًا بينما أرد أنا بثقة:

- حساه كده مميز شوية مش زي أي صفحة.

ليرد سيف بسخرية وبرود:

- هي فعلًا مش زي أي صفحة.

قالها بضحكة مستهزئة وهو يعبث بهاتفه لأتوقف وأضع كوب العصير أمامي وأنظر له قليلًا، بينما هو لا يبالي منغمسًا في هاتفه المحمول.. ساد صمت لدقائق قطعته رؤى التي استعدت للرحيل لمقابلة العمل التي تنتظرها، استئأذنت منا جميعًا ومني أنا بالأخص:

- مبسوطة إني اتعرفت عليكِ يا سارة.. إن شاء الله تبقى بداية سعيدة.

لأتجاوب أنا معها في رأيها.. أن تكون بداية سعيدة.. فهل من الممكن أن تكون كذلك؟!

**

30 يوليو 2017

رغم اختلاطي بأناس جدد أزالوا غبار السنوات من قلبي وزادوني ثقة، إلا أنني لم أتذكر من كل هذا سوى نظرات المسمى بـ(سيف) السخرية والازدراء الممزوجان بإعجاب حاول إنكاره، ربما كنت ضيفًا ثقيلًا مثل كهل في أواخر أيامه يتكئ على عصاه وعلى أحرفه وكلماته،

ليسمعه من لا يريدون ذلك على الإطلاق.

نفضت كل ذلك من على رأسي وعاهدت نفسي عهدًا.. أن أكتب كل ما أشعر به.. بشرط أن ينتهي الأمر بمجرد كتابته.. وفعلت ذلك:

«الفكرة مش في إنك قابلت شخصًا جديدًا مش حابب يبقى جزءًا من حياتك.. لأ.. الفكرة فى إنك زعلان إن فى حد خد المايك منك.. للأسف معنديش ليكو غير الشفقة إن حد غيركم بقى بطل قعدتكم».

#الموقف

أكاد أجزم بعدم فهم جميع من فى الصفحة بهذا الكلام، ولكني فقط أفي بعهدي مع نفسي.. حادثتني رانيا بعدما نشرت هذا لتضع بعض النقاط على أحرفها:

- بصي، سيف ده طول عمره دبش ومدب وإحنا متعودين عليه كده.. ده كان في حقوق وعنده كمية صحاب خرافية وبيتعامل معاهم كلهم كده.

لأقاطعها بحزم:

- رانيا أنتِ بتشرحيلي حياته ليه وأنا مالى، إن شاء الله يصاحب مصر كلها.

أكملت رانيا تبريرها.. عن سيف شاب، الاثنتين وعشرين سنة.. محور كل حديث وجلسة.. استغرقت ربع الساعة وهي تحكي حديثه معها حيث أخبرها أنه شعر بسخافته بالأمس وطلب منها أن تعتذر لي

نيابة عنه، فهو يمر ببعض المشاكل التي تجعله لا يستطيع التعامل بشكل صحيح خاصة مع أي شخص غريب.. طالت المكالمة بيني وبين رانيا لنصف الساعة وأخذت محورًا آخر تمامًا.. أخبرتني عن كيفية معرفتها به، وبالشلة كلها.. فهي من النوع النشط في الكلية، تجمعوا من كليات مختلفة منذ سنة في نشاط جامعي أو **student activity** وكانوا أكبر عددًا من ذلك ولكنهم انتقوا بعضهم البعض ليشكلوا شلة تتقابل بين الحين والآخر تتسامر.. تضحك.. يخففون عن بعضهم أعباء الدنيا.. ويختفون من حيواتهم بسرعة مرة أخرى، أصدقاء اللحظة.. تمامًا كما صنفتهم من قبل.

وبعد كل هذه النميمة.. أعطتني رقم سيف في حالة إن أردت محادثته ولكني رفضت تمامًا.. لما يقرب من اليومين.. وبعد ذلك.. اتصلت..

**

1 أغسطس 2017

خلال ثانيتين من اتصالي كنت قد ندمت على هذه الخطوة.. ولكنني مضيت قدمًا ممثلة الشجاعة التي اعتدت التظاهر بها:

- آلو..
- إزيك يا سيف.
- الحمدلله.. مين معايا؟
- أنا سارة.

– سارة مين؟ آاااه.. سارة بتاعت» الموقِف» هههههه.. إزيك؟

من الواضح أن مشاكله في التعامل مع الغرباء أكبر مما كنت أتخيل، ومشكلته في المزاح أكبر

– كويسة الحمدلله.. أنا قلت أتصل أطمن عليك رانيا قالتلي إنك تعبان وعندك مشاكل إيه مالك؟

– يا بنت الكلب يا رانيا.

– نعم؟

– بقولك كل المشاكل فانية.. عادي متاخديش في بالك المهم متكونيش زعلانة بس

أخذ وجهي وضع الاشمئزاز بينما قلت مجبرة لا مخيرة:

– لا أبدًا مفيش زعل ولا حاجة.

ساد صمت لثوانٍ قطعته أنا باستعجال:

– طيب أنا هقفل عايز حاجة؟

ليقاطعني بتعجب:

– تقفلي إيه بس مش لازم أصالحك الأول؟

رفعت حاجبي في تعجب لم يره بينما أحسه في صوتي:

– تصالحني؟

**

لم يعلم أحد شيئًا عما فعلته ليلتها سوى بعدها بأيام من التفكير

obeikandl.com

المستمر.. أما عن ليلتها.. فكانت نزهة لطيفة رغم ازدحام الشوارع كان الطقس جميلًا.. وكذلك كان سيف أيضًا!

- اتفضلي يا ستي واحد شاورمة سوري إكسترا تومية

قالها في لهجة استعراضية بينما أخذته منه وأنا أضحك ساخرة من كلامه:

- هي التومية بقت «إكسترا» امتى؟

اكتفى هو بالابتسامة فقط، وعيناه مملوءتان بالتساؤلات.. بينما أجبت أنا على كل تساؤلاته ببساطة:

- أنا سارة.. رايحة رابعة تجارة إنجلش.. معنديش هواية غير الأفلام القديمة والأغاني وأحيانًا الكتابة.. أقرب صحاب سلمى معايا في الكلية ورانيا أنت عارفها.

ليرد بسخافة بدأت الاعتياد عليها:

- أنا مسألتكيش على فكرة!

نظرت له بلوم وسألته بسخرية:

- هو أنت علطول سخيف كده.

- علطووووول..

ضحكت رغمًا عني بينما هو ابتسم ابتسامة صادقة.. واسترسل في الحديث:

- وأنا سيف، متخرج من حقوق، وبدور على شغل.. بحب أغني

بيقولوا صوتي حلو، وعندي شوية فولورز حلوين عالفيسبوك.

قلت بسخرية:

- طب ما تعملي شير للبيدج بتاعتي ينوبك ثواب.

وأكملت الساندوتش في اندماج بينما هو نظر لي طويلًا ثم أخرج هاتفه من جيبه ليفتح الفيسبوك وينشر صفحتى «الموقِف» على بروفايله بالفعل.. ارتسمت على وجهي علامات ذهول جعلتني أتوقف حتى عن الأكل، بينما هو انتهى ووضع هاتفه بجيبه مرة أخرى ونظر لي بابتسامة تحدٍ:

- حصل.

توقفت عن السير فتوقف هو الآخر ونظرت لأقول له بذهول وأنا أضحك:

- أنا كنت بهزر!

لينظر في عيني مباشرة وهو يقول وصوته اختلط بالطعام:

- وأنا مبهزرش.

صمتنا لدقيقة ساد فيها الذهول والتفكير.. قطعتها بتوقفي مرة أخرى فى الشارع لدقيقة.. لأرمي ورقة السندوتش فى سلة القمامة ثم أنظر له وهو شارد، وأفاجئه بطلبي:

- غنيلي حاجة..

انتبه من شروده إلى طفولتى ومزجهما بأغنيتي المفضلة «كل ده كان

ليه«

ليدخلنى إلى شرودي أنا.. ولا أفيق أبدًا.. أغنية تتلوها أخرى وأخذنا نصيبنا كله من الليل فى الأغاني.. والحكايات.

**

3 أغسطس 2017

مر نحو يومين حتى استطعت تجميع أفكاري والتحدث إلى إحداهن لأحكي لها تلك التفاصيل التى هوستني.. يومين انعزلت فيهما كعادتي عن هاتفي وعن الإنترنت، فقط جلست مع والديّ بنصف عقل.. والنصف الآخر تائه بين تلك التفاصيل.. أفاقني من غيبوبتي اتصال منه.. كان هذا هو أول تواصل بيني وبينه بعد ذلك اليوم:

- فينك يا بنتي.
- موجودة.. بس مش بفتح نت.
- بسبب..؟
- من غير سبب والله، زهق بس.
- طيب أنتِ فاضية النهاردة..
- لا.

كانت هذه الإجابة السريعة والحازمة ما هي إلا غلاف لـ«آه جدًا» ولكن شيئاً ما أخبرني أنها الإجابة المناسبة:

- أممم.. تمام هقولها.

- تقول لمين؟

- رانيا.. مجمعة العيال النهارده عيد ميلاد رؤى وقالتلي أكلمك عشان مبترديش عليها

صمت لنصف الدقيقة ثم قلت بتردد:

- أصل أنا ورايا حاجات.. حاجات كتير.. ماما عايزاني أساعدها وبابا كان عايزني أساعده فى شغل فى الـ excel والنهاردة أصلًا يوم النضافه عندنا فى البيت ده أصلًا سلمى المفروض هتجيلي...

قاطعني وخلع نظارة الإحراج التى دائمًا ما أرتديها:

- ماشي.. عيد الميلاد الساعة 10 ساعدي ماما وساعدي بابا ونضفي واستقبلي صحبتك وهاتيها معاكي.. سلام عشان هكلم أحمد يلا.. باي.

وأغلق الخط مرة أخرى!

لا مفر من الحديث مع سلمى... آه يا قلبي!

قفزت بداخل ملابسي وذهبت إلى سلمى لأتلقى العقاب اللازم لغيابي لما يزيد عن أسبوع والإتيان لها بما لا يسر أبدًا.

**

قابلت سلمى وجعلتها تلبس على عجل وخلال طريقنا سردت لها كل شيء.. بداية من تقربي لرانيا وبدايتي الجديدة معها.. حتى سيف غريب الأطوار وتصرفاته الغريبة التى لا أفهمها.. كانت عينا سلمى

تتسع بشكل أدهشني وكأنها لم تكن لتتوقع أن يحدث كل هذا فى أسبوع اختفيت فيه عنها ، أوضحت اندهاشها بردها الذي بدأ بتنهيدة ونفس طويل لتتحدث إليّ دون أن تفقد أعصابها:

– أنا عايزة أفهم حاجة بس.. مش إحنا ما صدقنا خلصنا من حوار تركي؟ بتدخلي فى حوار تاني ليه دلوقتي؟

– أنا مدخلتش هو اللى مش مفهوم، أنا كل اللى عايزاه أعرف ناس جديدة عشان أنسى القديم كله..

وأكملت كلامي بشكل متلاحق:

– هو فى الأول غلس وغتيت لكن بعد كده بان إنه.. لطيف.. كويس يعني.

وقبل أن تنظر لي نظرتها الثاقبة قلت بسرعة:

– ده مش حوار **okay**؟ ولو فى حوار يبقى من ناحيته هو.. أنا مش هحبه لأ.. مش هحبه.. أنا بس.. بستلطفه، ممكن نبقى أصحاب.. مش كده؟

**

دخلنا إلى الكافيه نبحث عنهم، لنجد صوت سيف من ورائنا كمن خرج من الفراغ:

– أنتِ سلمى صح؟

نظر كلانا إلى الخلف فى فزع مضحك، وبسرعة شديدة تعرفا على

بعضهما.. راقبت عينيّ سلمى التى بدت راضية عنه ـ بشكل مبدئي ـ تقدمنا سيف ليعرفنا على المدعوين وقال بلهجة سريعة:

– ده أحمد، ومريم.. سيف ـ على اسمي ـ.. لبنى.. شيري.. تركي.. وزياد.

– !!!!!

نظرنا ـ أنا وسلمى ـ لبعضنا البعض فى صاعقة لم نحسب لها أبدًا.. بينما هو أكمل ليزيد من توتر الأمر:

– سارة وسلمى يا جماعة صحاب رانيا وصحابي.

اتسعت عينا زياد فى ذهول بينما الآخر احمرت عيناه في غضب وحرج.. أما نحن فلم نخلع رداء التوتر والخوف حتى انتهاء عيد الميلاد.. نكزتني سلمى بتوتر بعد أن جلسنا:

– الله يخربيتك ويخربيت اللى يفكر ييجي معاكي في حتة!

وبنفس نبرة الصوت الخافت المتوتر قلت لها:

– وأنا يعني هشم على ضهر إيدي؟ أنا مالي!

قطعنا عن حديثنا سيف الذي بدا أنه كان يحادثنى منذ دقائق ولم أنتبه له:

– معايا يا سارة؟!

– آه.. معاك.. بس أصل..سلمى كانت بتسألني عن رانيا هتيجي إمتى عشان هي متعرفش حد هنا غيرها.

لم أكمل الجملة حتى نكزتني سلمى من أسفل المنضدة بما قلته للتو، وأخبرنا سيف أنها مع رؤى ستأخذها إلى هنا حيث تجدنا مع كل هذه الزينة والاحتفالات.. لم أنتبه إلى ثرثرته ولكن كان تركيزي مع الاثنين في نهاية المنضدة، نظرت لتركي أسترجع كل الذكريات التى لا تدل على شيء سوى الغباء، لا أعلم ما الذي يفكر به الآن ولكن بدا على وجهه أنه شيء غير مريح، كذلك زياد الذي بدا متوترًا كان ينظر إلى سلمى من حين لآخر بصدمة وكأنه يلومها بعينيه، تحدث الجميع في صوت واحد تقريبًا وكان هذا فى صالحنا ـ أنا وسلمى ـ كثيرًا.. همست لها:

– هو إيه آخر حاجة حصلت فى حوار زياد أنا نسيت؟

لترد وهي تقلب نظرها بين الجميع ـ عداي ـ في توتر:

– افتحي الواتس.

وبالفعل:

– انتهى ببلوك.. ممكن تبطلي غباء عشان هما مبطلوش يبصوا علينا من ساعة ما دخلنا؟

– حاضر.. بس إيه رأيك في سيف؟

رأيت أصابعها تتحرك بسرعة وعصبية بينما أنا لم تزل الضحكة عن وجهي بسبب الموقف كاملًا:

– حلو يا ستي حلو.. ممكن نركز في المصيبتين اللى قدامنا دول الأول؟!

انتبهت لسيف الذي لم يكف عن الحديث والثرثرة ولكن هذه المرة كان يتحدث عني:

- مش كده يا سارة؟!

- ها؟

رأيته ينظر فى منتصف عيني يقرأهما.. بينما لسانه مصمم أن يزيد الأمر توترًا وحرجًا:

- كنت بقول لزياد إنك عندك صفحة بتكتبي فيها خواطر وسكريبتات حلوة ودمها خفيف

وبتلقائية شديدة لم أفكر بها:

- وبتقول لزياد ليه؟ ما كل دول مش عارفيني ولا عارفين إنى عندي صفحة وبكتب فيها؟

التفت لي زياد بصدمة وتسمرت عينا سيف عليّ بذهول.. بدأت إدراك ما فعلته.. خاصة بعد دهس سلمى لقدمي بكعبها العالي من أسفل المنضدة:

- آاااه.. حاسبي يا سلمى!

وتجمد الجميع في محاولة لاستيعاب سبب كل هذا التوتر فى هذه الطاولة دوناً عن غيرها فى الكافيه.. فتحت سلمى موبايلها لتعاود محادثتي مجددًا:

- ارحمي أمي من غبائك، ما تقفي عالترابيزة وتقوليلهم على كل

حاجة أسهل!!!!!

ضحكت بصوت مسموع ولحسن الحظ كانت المنضدة تضج بالثرثرة وكأن شيئًا لم يكن.. فانفصلنا عنهم.. لنتحدث عنهم:

- هو رغاي أوي يا سارة.. والناس اللى بتتكلم كتير دي بتبقى فاضية من جوه

داعبتها كعادتي:

- نملاه؟

**

وبعد نصف ساعة دخلت رانيا إلينا ومعها رؤى.. التى صدمت من كل شيء، بداية من هذا العدد ونهاية إلى التورتة التى كانت تحمل أحب صورها إليها.. وبعد الاحتفال وملحقاته.. وبعد أن عرّفت رؤى بسلمى.. أشارت إليّ سلمى لنرحل الآن قبل أن يحدث المزيد من المشاكل ولكن سبقنا الاثنان تركي وزياد ورحلا فى استئذان سريع من الجميع عدانا، وانقضى اليوم ما بين الضحك والمرح وما بين الذهول والخجل مادام استمر سيف على منهجه: تسويتي على نار هادئة.

ورغم اندماج سلمى مع الجميع وجدتها تهمس لي:

- أنا هروح، كلمتلك طنط وقولتلها إنك هتتأخرى ساعة كمان خليكي أنا همشي لوحدي وبكرة احكيلي اللى حصل.

لم أفهم مغزاها من تركها لي وحدي.. ولكني أومأت برأسي عندما

رأيتها تبتسم لي بحب.

**

كان اليوم رائعًا خاصة تلك التمشية مع سيف في نهاية اليوم، ومن هنا، من هذه النقطة تحديدًا بدأت الحكاية.. وذلك الاتفاق الذي عقدناه مادمنا على قيد الحياة.. الاتفاق الذي سنلجأ له ربما للتعارف، للتقرب، للاستفهام.. لعبة الصراحة.. بوعد من الطرفين.. بالإجابة بكل مصداقية وصراحة.. مهما كان السؤال.

**

14 أغسطس 2017

مرة تلو الأخرى أصبحت خروجات الشلة أقل بكثير من خروجي معه بمفردنا.. كان يتصرف معي دائمًا كأننا نعرف بعضنا من قديم الأزل.. وأصبحت مقابلاتنا طقسًا شبه يومي مهمًا يطمئنني.. ويجعلني أنسى ما فاتني من حياة لم أعشها...

**

أتعلم ما أجمل شيء في الأفلام والروايات عن حقيقتنا وواقعنا؟ غير تلك النهايات السعيدة المزيفة التي لا تمت للواقع بصلة؟

المونتاج!

نعم، ذلك الفن الذي يجعلك ـ بكل حرفية ـ تقص كل ما لا تريد

obeikandl.com

وكل ما هو غير مهم وغير مؤثر على الإطلاق، تمسح كل الحروف التى لن تفيد قصتك بشىء، تراجع جيدًا لتتأكد أنك قد وضعت المفيد فقط، أما الفراغيات والكماليات وتلك الثرثرة الفارغة وروتين حياتك القاتل لا مكان لهم بين ساعتيّ الفيلم أو بين عشرات الصفحات فى رواية ذات مغزى.. أما الواقع، ملىء بالثرثرة، والتزييف غير المبرر، ففي الواقع، لن تستطع التخلص من بعض أو كل لحظاتك القاتلة، كلحظات انتظارك لشىء مهم، لن تستطع تحييد مشاعرك تجاه هذا الواقع وهذه الحياة.

كذلك اليوم الذي انتظرته فيه لأكثر من ساعة ونصف في مطعمنا المفضل، ليأتي أخيرًا وهو مبتسم دون أي اعتذار، وقبل أن أغضب منه رأيته يخرج من جيبه خاتمًا جميلًا ملونًا، شكله أشبه بالدبلة.. إنه ذلك الخاتم الذي تمنيت أن أجده يومًا فهو يتغير لونه على حسب المزاج ودرجة الحرارة!

- كل سنة وأنتِ طيبة!

توقفت حدقة عينيَّ على يده التي تمسك بخاتم يتصدر قائمة أمنياتي أو الـwish list، مد يده لي وابتسم بحب وعين لامعة، واستعد لأخذ يدي ليضع بها الخاتم ولكنني سريعًا ما أفقت من أحلامي، وأخذته منه لأرتديه أنا وأبتسم فى ارتباك قبل أن يؤكد ارتباكي بسؤالي:

- أنتِ مش عيد ميلادك الأسبوع الجاي برضه؟

**

واستمر سيف في اقتحامي.. لم يكتف بالطرق على أحد أبوابي، بل قرر أن يكسر كل تلك الأقفال بدون استئذان.. لدرجة أنستني العالم والماضي بأكمله، والوقت الذي تذكرته بعد مضي الكثير منه..كان باردًا بابتسامته اللامبالية.. كان يأخذ أنفاسه بين كل كلمة وأخرى ويتكئ على حروفه ويبتسم كثيرًا، فكان نتيجة هذا العبث أن هذه الليلة كانت أجمل ليلة فوضوية قضيتها في عمري، إن لم تكن الوحيدة.

**

دخلت إلى المنزل في الحادية عشرة، بعد تلك الليلة التي اعتبرتها دافئة رغم كل ما بها.. وجدت أمي تسألني بسخرية غير مبررة:

- خلاص مبقيناش عاجبينك يا ست سارة، كل يوم عند سلمى لنص الليل؟؟

نظرت لها بصدمة وعدم فهم وقلت بتردد:

- سلمي؟! أنا.. أنا مكنتش..

قاطعني صوت سلمى التى خرجت من غرفتي للتو تنظر لي بعتاب ممزوج بحذر:

- مكنتيش إيه؟ مكنتيش لاقية الأجندات أنا عارفة إنك مش هتلاقيها، ننزل بكرة نجيبها سوا

لم تعطني فرصة للجواب وسحبتني من ذراعي لتدخلني إلى غرفتي وتطلب من أمي أن تجهز العشاء بينما أبدل أنا ملابسي، أغلقت الباب

بإحكام ونظرت لي بتفحص وتسائلت في غموض:

- يعني أنتِ تعملي المصايب من هنا وأنا اتشقلب عشان أداري عليكِ طب عالأقل ردي عالموبايل.

نظرت لها بأسف ودون أن أتحدث أو أروي أي شيء، احتضنتني وأجلستني على سريري، وجلست في مواجهتي.. نظرت إليّ بفضول وقالت:

- أنا مش زعلانة، ممكن بس تطمنيني عليكِ عشان أنا قلقانة بقالي أسبوعين؟ أنتِ كويسة؟

هززت رأسي إيجابًا ونفيًا وقلت بتردد:

- مش عارفة، متلخبطة!

**

وسردت لها ما فاتها في أسبوعين ماضيين، صمتت هي دقائق لتستوعب كل هذا وسألت سؤالًا بديهيًا:

- أيوه يعني إيه بقى الكلام ده؟!

نظرت لها بتردد وقلت:

- يعني هو بيلمح وبيرمي لكلام غريب أنا مش فاهماه، ومش عارفة أحدد أنا عايزة إيه!

- بتحبيه؟

نظرت للأسفل وصمت تمامًا، رفعت هي رأسي بحنان وكررت

obeikandl.com

سؤالها بصيغة أخرى:

- هتحبيه؟!

- وارد..

صمتت واعتدلت في جلستها وقالت في فضول واستكشاف:

- طب إنتو لما لعبتوا مع بعض صراحة أكتر من مرة فهمتي إيه؟

ترددت قليلًا.. حاولت نطقها أكثر من مرة.. ثم قلت باندفاع لأزيح من عليّ هذا الهم:

- بتاع بنات.

**

قطعت أمي حديثنا وتفكيرنا بإخباري أن العشاء جاهز، طلبت مني سلمى أن أركز ولا أتفوه بشيء خاطئ، فمن المفترض أنني كنت عندها في المنزل منذ السابعة ونزلت لأبحث لها عن أجندة أرادتها بشدة وسمعت أنها تباع هنا في شبرا، وسبقتني هي إلى هنا لتطمئنهم أن كل شيء على ما يرام!

سيناريو أبله.. ولكنهم صدقوه، لأنها سلمى.. إنها ضلع من أسرتنا وليست مجرد صديقة، إنها الشخص الذي لو أخبرت والديّ يومًا بأني ذاهبة إلى الجحيم معها فلن يقلقوا البتة، مادامت سلمى معي!

دخلت إلى غرفة المعيشة، لأفاجأ بتزيينها بشكل كامل.. إنه حفل عيد ميلادي!

obeikandl.com

وها قد فُسر كل شيء، نقطة أخرى في صالح سلمى التى لن يكفيني الاعتذار لها عن إهمالي.. ها هي تفاجئني وتذهلني كالعادة.. احتفلنا بعيد ميلادي العشرين، مع أسرتي الصغيرة التى ضمت ضلعًا صغيرًا، يكمل الناقص من المربع.. بينما أصرت أمي أن تخفي عني هدية سلمى حتى أفتحها يوم عيد ميلادي، أي بعد أسبوع من الآن.

**

اختتم اليوم الطويل ببيات سلمى عندي، بإصرار شديد مني، لنكمل ما بقى من حديثنا.. توترت قليلًا لأجيب على سؤالها:

- بصي، أنا ناوية نبقى أصحاب.

- من غير تحوير وحياة أبوكي.

قالتها بانفعال لم يخلُ منه كلامي أيضًا:

- ما أنا معرفش إيه اللى ممكن أقابله فى السكة!!

لتختصر عليّ الطريق وتضع الإجابة نصب أعيني:

- خازوق.

ضحكت ووافقتها الرأي، واستمر حديثنا عن كل شيء ليلتها، وتوقفت الثرثرة عندما نظرت لي كمن يستحضر كلمات اعتراف، وقالت:

- أنتي مش شايفة إنك عمالة تكرري نفس الغلطات تاني؟

ثم شدّت على يديّ بقوة وأكملت:

obeikandl.com

– متخليش أي حاجة حصلت أو هتحصل يا سارة تغير اللى باقي منك.

لم أرد، أجابت عيناي جيدًا بينما لساني ظل صامتًا، فقط احتضنتها وتركتها تتحدث دون أن أقاطعها:

– ليه متحكيش ليا كل ده غير بعد ما يخلص! أنتِ عارفة إيه اللى خلاني أصدق إن حوار سيف ده مش زي كل مرة؟ وإنه هيقلب حب بجد؟ عشان أنتِ اتغيرتي معايا.. معايا أنا يا سارة!

تنهدت وسط دموعها لتقتلني بجملتها الأخيرة.. وأمسكت بيدي مرة أخرى:

– أنا محتاجالك.

وكعادة الفتيات بكاء يجر آخر، ودموعنا لم تتوقف، وكأننا عقدنا اتفاقًا ملزمًا لكل أطرافه أنه حتى في أجمل الأيام التى قد نعيشها.. يجب علينا البكاء!

شعرت بأن سيلًا من الاعتذارات لن يكفي فتركتها فقط تتحدث وأنصت لها باهتمام.. وجدت ابتسامة مطمئنة على شفتيها وعينيها، فاطمأننت.

حتى عندما بدأت تسرد كل حكاياتها التافهة وتفاصيلها الصغيرة، كانت في تلك الليلة أغرب من سابقاتها، وجدتها تحكي لي عن طفولتها، حب الطفولة، أول لمسة يد وكلمة حب، عن كل أصدقائها الذين

صادقتهم منذ صغرها، عن شوارع اشتاقت إليها عندما كانت تسكن فى بلدها الريفي قبل أن تأتي إلى هنا مع أمها، عن والدها ـ والذي بالمناسبة تتجنب دائمًا أن تحدثني عنه ـ كيف كانا مقربين كالشجرة التى تتشابك أفرعها مهما كانت يابسة سردت لي قصة موته في حضنها، سردت لي أسرار أصدقاء لم أسمع عنهم مسبقًا، وعن حياة تمنت أن تعيشها، مع حب حقيقي، ومع كل تفاصيلها البسيطة.. تدرجت في سردها إلى أمها وكيف تحبها، وترى العالم بأكمله داخل عينيها الحانيتين، حدثتني حتى عن ملابسها وكيف ترى نفسها بداخل كل هذه التفاصيل المتداخلة.. أنهت ساعة من الحكايات بجملة جعلت ابتسامتى تتسع أكثر:

– وبحبك، وبحب إنك داخلة في كل تفصيلة من دول.

**

قبل أن ننام مباشرة صممت أن تسمعني أغنية جديدة.. قالت إنها تليق كثيرًا بهذه الحالة التى نعيشها الآن.. أنا وهي..

«مزيكتنا عالسي دي.. والسؤال واقف بحيرة نسمحي لي الرقصة دي.. لو نكون رقصة أخيرة؟»

شدني لحنها وكلماتها فأخذت سلمى وبدأنا الرقص بالفعل، كثنائي ينسجم مع الحياة نفسها، ولأضع الصورة كاملة، لم نكن بهذا القدر من الرومانسية.. بل كنا نضحك ونغني ونرقص.. وننسجم مع الحياة..

بخفة ظل تمتعنا بها.

يوم طويل انتهى ببوست على صفحة #الموقف.. من نوع آخر لم أعتد عليه... ونمت.

**

15 أغسطس 2017

استيقظت في اليوم التالي مبكرًا دون سبب، وجدت تلك الأغنية مازالت تعمل متكررة، فقد نامت عليها سلمى البارحة.. أيقظتها في مرح وحماس.. كنت أشعر بالاطمئنان الليلة الفائتة.. وربما أردت أن أرى ذلك الاطمئنان على وجهها أيضًا، انتظرت ابتسامتها لتظهر وترضيني، ولكنها لم تستيقظ بعد.

ظللت أحركها يمينًا ويسارًا، فانقلبت على ظهرها في حركة إرادية مني، كانت يديها باردة للغاية ظننت أنها مريضة ولكن فوجئت عندما تركت يدها في قلق بسقوطها دون أي ردة فعل، أكره قول هذا أو حتى كتابته، أكره نطق أحرفه أو حتي ترتيبها بجانب بعضها البعض.. ولكنها الحقيقة.. ماتت سلمى!

**

obeikandl.com

لأولئك الذين غابوا رغم إصرارهم على البقاء.. سلامٌ عليكم

4

«الطبيب النفسي ممكن ينصحك ويهز فيك
بس مش ممكن يقرر اللي غابوا يعودوا ليك»

عمرو حسن

obeikandl.com

25سبتمبر 2017

لم تكن روحي المهترئة بالقوة ذاتها لتجيب على مثل هذا السؤال ـ على الأقل في الوقت الحالي ـ أخذت أكتب إجابات بحثت عنها طويلًا وتعثرت في طريقي إليها ظنًا مني ـ بحسن نية ـ أن الطريق ما بين السؤال والإجابة خط مستقيم.. ورغم علمي بأني أبحث عن إجابة مختصرة وواضحة، وثقتي بأنني سأجدها عندما أبدأ الكتابة.. ولكنني كتبت السؤال بديلًا:

«إذا كانت الحياة مجرد رواية ضخمة، فكيف لنا بمعرفة النهاية، لتغييرها أو حتى تقبلها؟»

أطرقت رأسي مفكرة قبل أن تنفجر الأسئلة التى خرجت في شكل حبر يزين أوراقي البالية، وكيف لنا أن نضمن أننا لسنا جزءًا من رواية في خيال مؤلف مجنون، يهوى اللعب بأبطاله ـ نحن ـ؟.. كيف لنا التأكد من أن هذا الكون بالرغم من وقاره وتميز ميزانه بالعدل الذي لا ينضب، أنه ليس عبثيًا، لأنه ليس كونًا من الأساس؟.. وربما في النهاية.. في اللحظة التي تسبق إسدال الستائر مباشرة، نكتشف أننا

obeikandl.com

لسنا سوى دمى محركة بدقة متناهية لتؤدي هذه الأحداث ـ إجبارًا أم اختيارًا ـ... باختصار:

كيف لنا أن نتيقن بأننا هو ما نظنه عن أنفسنا؟ ولسنا ما يظنه الآخرون عنا في كواليس لا نعلم عنها شيئًا!؟

وإذا تجاهلنا النهاية تركيزًا على لحظتنا الحالية، فكيف لنا الاتزان بين سالب الحياة وموجبها، خاصةً إذا قل الأخير وندر؟ كيف لنا أن ننتج حياة هادئة، معتدلة الشحنة؟.. وهل حياة كهذه تستحق أن نحياها؟

والأهم.. هل نستحق نحن حياة صافية لا شوائب فيها؟! أو أن الأمر كله مجرد حظ؟!

**

بعد أن ماتت سلمى، بات العالم باهتًا، كما صرت أنا تمامًا.. بهتُّ وبهتت ذاكرتي أيضًا حتى لا أتذكر اليوم المشئوم.. يوم وفاتها.

آه يا سلمى.. ماتت دون أدني سبب أو مرض، توقف قلبها وماتت.. انتهى العمر الافتراضي الذي كتبه الله لها ولم ينته عمري أنا.. ماتت وتركت معي أربع سنوات يتامى لا تكفيني ذكرياتها حزنًا ولا نحيبًا.. عشت سنوات أبحث عن رفيق يؤنس عالمي الخاص، أتت هي لتنير عالمي وتخصه لها وحدها.. ثم ذهبت كما جاءت وأخذت معها كل عوالمي.. أصبحت منطفئة لا أبحث عن شيء.. لا عن سعادة ولا عن غيرها.. وقنعت قناعة تامة بأن هذا هو كل ما سآخذه

في حياتي من فرح ووجع امتزجا فشكلا حياة لا بئس بها.. ولكنها بئست الآن.. بعد موتك يا سلمى.. من أجل تعزيتك لم أرَ شعاع ضوء ينير دواخلي إلا وأطفأته.. هدمت أحلامي وكسرت طرقاتي.. وفضّلت الوحدة والعزلة.

لا أكاد أروي تفاصيل هذا اليوم حتى أجهش بالبكاء، أصرخ كالأطفال، أرفض كل احتضان لا أشعر داخله بسلمى، كنت أتلوّى في سرير المستشفى كالمجنونة، يرقص جسدي حزنًا، أفتح عينَّي فجأة وأصرخ من كابوس مماثل، يراودني شك بأن هذا كله ثمة كابوس أفقت منه، ولكن.. ما هذه المستشفى؟ وكيف ولماذا جئت إلى هنا؟.. تخرج حروف لم أعد أتفوه بسواها(س ل م ى) ليأتي أبي أو أمي أو أي شخص لم أميزه لأنه لا يشبه سلمى فى شيء.. ليسألني أسئلة غير منطقية بالمرة، أجيبها جميعًا بالرفض.. بينما لا يستطيع أحد أن يجيب سؤالي الوجودي.. الذي اختفت إجابته من الوجود.. أين سلمى؟

اعتدت على سماع دقات قلبي متسارعة، منتفضة كأنني ألهث جريًا في ماراثون عملاق، اعتدت الرؤية المشوشة التي تليها عتمة تامة قبل أن أسقط على الأرض مباشرة.. حتى الأقراص التي أشعر بهم يدسونها في فمي رغمًا عني اعتدت عليها، وباتت حياتي كما لم تكن من قبل.. فكل فواجع الماضي بآلامه وأوجاعه لا تساوي غرق عينيَّ في دموع لا نهاية لها، أو وجع دسُّه الموت في قلبي كالخنجر المسموم، فإن

لم أمت بطعنته، مُتُّ بسُمِّه.

لا أتذكر سوى خطوط عريضة من هذا الفصل في حياتي، خلال شهر التعافي من الصدمة العصبية التي عانيت منها..

أتذكر يوم أن صرخت باسمها ولم أستطع قول شيء آخر وكأن اسمها وحده استغاثة كافية..

أتذكر أمها التى تماسكت أمام مرضها وكبر سنها لسنوات.. وها هي تقع في غيبوبة سكر طويلة الأمد لما تلّقت الخبر..

أتذكر أبويَّ اللذين لم أرهما بهذا القلق المفزع عليّ من قبل.. فهما أكثر من يعلم: أن الحياة أضيق من أن تسعني بدونها..

بل بدت الحياة حزينة عليها، فلم أصادف أن أرى طفلًا يضحك في الشارع صدفة، أو أن أرى بعض الأصدقاء يتهامسون ويضحكون بحب.. وكأن الحياة سلبت الحب من الجميع، كما سلب مني الموت سلمى.

أتذكر إعيائي النفسي والجسدي الذي استلزم مستشفى وضعوني به كالجثة الحية، وأدخلوا بجسدي محاليل جعلتني على قيد الحياة.. ولكنها لم تحيني.

الحياة والموت، بطلان لقصة طويلة تصارعت عليها أجيال عدة، هما السبب الرئيسي لكل فرح وحزن، هما المبتدى والمنتهى، وكل شيء في هذه الحياة يحدث تباعًا لهما.. وبأمر منهما، تبات الأيام حلوة تارة، ثم

تغدو فجأة مُرة.. لا طعم فيها لأي شيء قد نشتهيه.

ورغم محورية دورهما في رواية خلقها الله لسبب ما..

فإنهما لا يظهران بسهولة، تمامًا كما لا يختفي أثرهما بسهولة..

ترتقي من شعورك بالسعادة، لتشعر بالشغف، ثم النشوة، وتصل إلى أبعد من ذلك..فتحيا، مرات قليلة في حياتك كلها.

وفي منتصف الطريق عندما لا تكون جاهزًا أو مستعدًا لأي شيء.. يأتيك الموت ليأخذ منك عزيزًا ليحييه في عالم آخر.. ويميتك أنت في عالمنا هذا.

وبعيدًا عن ذلك.. فنحن الأدوار الثانية، والثانوية.. نحن من نحرك البطلين للحياة القصوى أو الموت الأبدي.. ورغم عدم تضادهما في المعنى فالموت قد يعني بداية حياة والعكس صحيح، ولكن يبقيان هما الأبطال.. الكفتين اللتين نكافح ـ نحن البشر ـ كل المكافحة من أجل أن نصل لأحدهما.. راضين.. سعيدين.. مستعدين.

واكتشفت بعد مرور شهر ونصف تقريبًا أن هناك بطلًا ثالثًا لهذه الرواية القاسية، سمي بالنسيان.. يستلزم فقط بعض الصبر ليأتي..

لم تعد الأفلام تلمس شيئًا بداخلي سوى تلك الحادثة، فلم أشاهد أيًا منها منعًا مقدمًا لسوء الأوضاع، لذلك عندما تعافيت.. التزمت الصمت إلا من قليل، كان أبواي معتادين على ذلك في الأوقات العادية التي تحدث بها معضلة ما.. فما بالك بهذا الأمر الواقع.. سيئ

كفاية؟ ولكنه واقع.

وهكذا تعاملت يوميًا، أستيقظ من نومي بإنهاك مهما طالت ساعات نومي.. أتجهز للخروج في ألبسة غلب عليها اللون الأسود.. أقبّل أبويَّ سواء كانا متيقظين أم نائمين وأتركهما وأذهب للمستشفى في عجلة من أمري لألحق بميعاد الزيارة، وكأن شيئًا جديدًا سوف يحدث اليوم لم أره مسبقًا.. ولكنني دائمًا ما أرى نفس المشهد، عندما أدخل إلى غرفة مدام لبنى ـ أم سلمى ـ التى أحيطت بأجهزة رسم القلب والتنفس الصناعي.. أتحدث كثيرًا، أجهش بالبكاء، ورغم علمي بأنها لا تسمعني ولكن كان ذهابي إليها هو الشيء الوحيد الذي يذكرني بـ سلمى، وكأن هناك شيئًا لا يذكرني بها!!

ربما لو طاف ملك النسيان حول هذه الغرفة، لعلق هنا ونسي ما جاء من أجله..

بدأت حديثي اليومي وأنا أنقل نظري بين جسدها النائم في سبات عميق، وبين جهاز رسم القلب الذي أحدث صوت رنينه المتقطع اطمئنانًا في قلبي رغم توتره.. شددت أحد الكراسي وجلست بجانبها، أمسك بيدها، وأتذكر معها ذلك اليوم.

15 يناير 2015.. جامعة القاهرة

كنت يومها أبكي كالأطفال مع صديقتي الجديدة (رانيا) التي تعرفت عليها منذ بداية السنة الدراسية الأولى لنا فى الجامعة، بكيت

من دكتور المحاسبة الذي سخر مني في امتحان الشفوي الذي لم أستطع الإجابة فيه عن أي سؤال طرحه عليّ.. ولكن حدث حينها شيء جعلني أتوقف عن البكاء.. فقد سمعت ضحكة إحدى البنات في غرفة المحاضرات الصغيرة التى كنت أجلس بها، التفت أبحث عن صاحبة هذه الضحكة ـ الرقيعة ـ إن جاز القول وابتسمت رغمًا عني عندما رأيتها لأول مرة.. بسيطة.. اجتماعية.. منطلقة بكل حيوية.. سألت رانيا عن اسمها فأخبرتني وهي تضحك «دي سلمى.. حاولي تتعودي على ضحكتها لأنها هتضحكها كتير» عرفتني إليها، لم أزل أتذكر هذا المشهد..

– أنا سارة.

– إزيك.. أنا سلمى.

قالتها بابتسامة فضولية مستكشفة وجهي الطفولي الذي احمرَّت وجنتاه من البكاء.. تغيبنا عن المحاضرة القادمة وجلسنا نتحدث ونتسامر.. أخذنا صورة تكاد تكون معتوهة، وبكل براءة.. بدأت قصتي مع سلمى.. من هذا الوقت ومنذ هذا اليوم ونحن نحتفل بذكرى هذا اليوم كلما مرت عليه سنة أو اثنتان.. ورغم أن تلك الصورة لم تنل إعجابنا ولكنني مازلت أضعها في برواز صغير على الكومود الخاص بي بجانب سريري، كانت سلمى كلما رأتها ضحكت مستهزئة من أشكالنا، حتى إنها كادت بالأمس أن تكسرها

لولا أن.....

توقفت عن الحديث فجأة وكأن ماما لبنى تنظر لي الآن بشفقة.. وعدت أهمس لنفسي..

بالأمس؟؟! أي أمس؟ ما الذي جعلتني أنساه بالضبط يارب!!

**

1 سبتمبر 2015.. قهوة بلدي في وسط البلد

نظرت لسلمى وعيناي متقّدة بالحماس، متوهجة بالشغف.. نظرت حولنا لأجد الشباب والبنات جميعهم يجلسون دون ريبة أو خوف أو حتى شغف مثلي، بل إن هناك بعض البنات يدخن ويشربن الشيشة.. قلت لسلمى بعد فترة من الصمت:

– يااااه.. أنا مش مصدقة إنى قاعدة على قهوة بلدي.

نظرت لي بسخرية وقالت:

– أنا كنت متخيلة إنك هتطلبي فلوس.. موبايل.. سفر.. مش نقعد على قهوة!!

قلت وعيناي مازالتا مثبتتين عليها بنفس الحماس:

– قهوة بلدي.. أنتِ متخيلة ؟ متخيلة إننا قاعدين على قهوة بلدي!! أنا قعدت على قهوة بلدييييييي

وصرخت في جملتي الأخيرة بانفعال وحماس، لتكتم فمي

بيدها وهي تنظر حولها لترى على وجوه الجالسين نظرات تعجب واستنكار.. فضحكت ضحكتها التى تبدو ـ رقيعة ـ فجذبت انتباههم أكثر.. وغرقنا في الضحك سويًا..

ثم تحدثنا عن (أحمد) الذي ارتبطت به سلمى منذ فترة لا تزيد على السنة، وكانت مترددة في أخذ قرار إنهاء تلك العلاقة، ورغم ندرة علاقاتي العاطفية ولكني قلت دون تردد وتحدثت كخبيرة:

ـ اعملي مع نفسك زي ما عملتِ معايا دلوقتي.

تحولت عيناها إلى علامات استفهام وتعجب، فأكملت قبل أن تتساءل:

– يعني اسألي نفسك، إيه الحاجة اللى نفسك فيها دلوقتي حالًا، اللي لو عملتيها هترتاحي مهما كانت مجنونة ومش منطقية..

اختتمت وأنا أضع قدمًا فوق أخرى وقلت:

– **Then do it**.

دائمًا ما كانت تردد «سبتمبر شهر الأحلام» ، كانت تنتظر ذلك الشهر الخريفي من عام لآخر، في هذا اليوم أخبرتني بحماس معدٍي، أنني كنت حلمها منذ أعوام.. أن تجدني وظلت تبحث عني، وها هي وجدتني فقررت أن تسخّر أحلامها كل سبتمبر لسعادتي فقط.. وبما إنني لم أعد حلمًا من الآن، فقد قررت أن تحقق لي أي رغبة أطلبها.. ورغم تعجبها لطلبي البسيط، ولكنها أعجبت ببساطتي وحريتي التي

اكتنفتها في الهواء الطلق وفعلت شيئًا لم أكن أجرؤ أن أفعله بمفردي، دائمًا ما كانت تنعتني بالبسيطة الباحثة عن السعادة، حتى إنها كانت تسجل رقمي على هاتفها بـ**Miss Happiness**..لتذكرني دائمًا برحلتي في البحث عن السعادة، والسؤال.. هل انتهت رحلتي تلك لتوقفها عن مرافقتي فيها؟ أم أن ما رأيته معها قبل أن تتركني هو كل السعادة المطلقة؟

**

15 سبتمبر 2015.. منزل سلمى

عندما أخذت سلمى قرارها بشأن علاقتها العاطفية بـ (أحمد) وتركته، لم يكن من السهل أبدًا عليها أن تتحمل عناء العواقب وحدها، فبعد أن علمت بأنها تسكن بجانبي على مقربة من منزلي، قررت أن أذهب إليها لنواجه الأمر سويًا، حينها تعرفت على أمها.. سيدة حنون تبدو عليها الأرستقراطية، كانت سعيدة بالجانب الآخر من سلمى الذي لم يظهر إلا معي.. ظللت أسمع كلمات سلمى التى اختفت وراء تنهيدات بكائها، وتركتها تتحدث عن العلاقة السامة التى استنزفت مشاعرها.. فقط ربتُّ على كتفها وتركتها تبكي بحرقة دون انقطاع، وقمت أنا بدور المُشاهد الصامت.. وعندما انتهت قلت لها بابتسامة وأنا أنظر لها بحب:

– سلمى حبيبتي، مش أنا صحبتك؟ عندك شك في كده؟!

أومأت برأسها أن لا.. فأكملت أسئلتي:

– قعدتي كام سنة تدوري على صحاب كويسين؟ ولما كنتِ بتلاقي كنتِ بتشكي إنهم مش صحاب بجد مجرد ما يزعلوكي أو تزعلي منهم؟

مسحت دموعها كطفل يريد اقتناء قطعة حلوى وقالت:

– مش فاهمة.

قلت وأنا أصيب مقصدها تمامًا:

– الحب شبه الحاجات اللي أنتِ مريتي بيها، شبه أحمد ده واللي قبله واللي هييجي بعده، بس عارفة ليه بقول شبه ؟ عشان الحب لما ييجي هتعرفيه.. لأنه ببساطة مش شبه حاجة راحت ولا هيبقى شبه حاجة جت..

لم تمنع ابتسامتها المندهشة التي كشفت عن فهم واستيعاب وقالت بطفولة:

– زي ما لقيتك كده؟

هززت رأسي وسرت قشعريرة في جسدي، أسكنتها باحتضان سلمى لتهدأ أوصالي وأدرك أنه من الآن فصاعدًا.. لا يوجد شيء محزن، مادامت سلمى معي..

آه يا حبيبتي.. ليتكِ تأتين وتمسحين دموع أحرقت وجنتيّ كنقطتيّ

زيت سقطتا في وعاء محترق السخونة، لا تملكان إلا السكون الذي يسبق الغليان..

نزلت وجلست أرضًا أمام سرير (ماما لبنى) وأمسكت بيدها، ورحت أبكي في راحتيها.. أجهشت بالبكاء، أو إن جاز القول أجهش البكاء بي.. سألت نفسي آلاف الأسئلة الوجودية ولم أجد أي إجابة ترضيني.. أخذت يدها ووضعتها فوق صدري الذي احترق نبضًا بأنفاسه المتألمة.. ورحت أصرخ مدركة واقع أدركه مئات المرات في اليوم الواحد.. راحت سلمى.

**

26 أكتوبر 2015.. شرفة منزلي

كان يومًا عصيبًا.. ذاك الذي قررت فيه بعد عدة محاولات باءت بالفشل أن أعبر عما أكتمه من مشاعر لشخص أعجبت به سمي بـ«كريم».. ولم أستطع مقاومة تلك الرغبة الجريئة ولكن بالطبع كان لابد أن تمر رغبتي على فلتر تنقية سُمي بـ«سلمى».. التي شجعتني أن أفعلها الآن لأزيح عن نفسي عذابها.. ورغم توهج رسالتي بمشاعر فياضة، جاء الرد باردًا مقتضبًا.. خالي تمامًا من أي مشاعر، وبكل بساطة يخبرني أن مشاعري المندفعة تجاهه هي مشكلتي الخاصة، وأنه لا يكن لي تلك المشاعر الفياضة ولا جزءًا منها حتى!

كانت خلايا جسمي تحترق كما لو كنت أواجه شمسًا حارقة غير متوقعة..

أتذكر أن جاءت سلمى إليّ عندما علمت بنحيبي، وكأنما أغمضت عينًا وفتحت الأخرى لأجدها أمامي تحتضني، في الحضن الذي وسع كل شيء مهما ثقل، ورغم إيمان كل منا بأن هذه العلاقة مع كريم هذا، ليست بصادقة.. وربما ليست بعلاقة أساسًا.. ولكن شيئًا ما.. جعلني أنتحب، ربما سلمى نفسها وحضنها الذي ساعدني على التخلص من ذكرياتي المؤلمة.

والآن.. أين هي؟ توجهني.. تساعدني لأرتكب أخطاء حمقى بل وترتكبها معي.. أين حضنها الذي احتفظت بداخله بذكرياتي السيئة جميعها؟ ولماذا؟ لماذا كان الحضن الأخير مؤلمًا، جافًا، باردًا.. رغم حرارة جسمي ودفئه؟ وكأن الموت لم يكتفِ بأن يأخذها مني، بل أهداني بديلًا في حضنها الأخير، وأعاد لي ـ في مفاجأة غير متوقعة ـ كل سيئ رميته بداخلها، حتى تُدفن خالية مني.. وتعود إليّ ذكرياتي السيئة والحلوة التي باتت سيئة منذ غيابها، أين أنت يا ملك النسيان؟؟ أين ذهبت؟؟ ضللت طريقك؟؟ ها أنا هنا.. في غرفة باردة بمستشفى.. أمسك بأيدي دافئة خصّت أم سلمى.. وأترجّاها.. هلا نعود بالزمن وتلديها لي مرة أخرى؟!

**

31 ديسمبر 2015 محل لبيع الإكسسوارات

ذهبت لأشتري بعض الزينة الخاصة برأس السنة الجديدة، فقد اعتدت أن أغير ديكور غرفتي كل عام وأزينها بشجر الكريسماس وبابا نويل وربما رجل الثلج وبعض الكرات.. عندها هاتفتني سلمى لتخبرني في صوت لاهث أنها تحتاجني في منزلها الآن، وعندما سألتها عن السبب أخبرتني أنه قد حدثت مشكلة لن تستطع أن تقصها لي في الهاتف.. ذهبت إليها مذعورة رغم علمي بأن الساعة قد قاربت على الثانية عشرة، ولكن لن أتأخر، نصف ساعة فقط وسأكون بالمنزل.. أخذت الطريق ركضًا وقلبي يخفق وأنا أتذكر كلماتها المضطربة وصوتها الباكي، وطلبت من الله أن يكون الأمر خيرًا.. وعندما وصلت وطرقت بابها أكثر من عشر مرات، فتحت أخيرًا وهي ترتدي قناعًا لامعًا على عينيها، تنفخ في لعبة هي أشبه بالبوق منها إلى الصفارة.. وتقول بابتسامة ماكرة:

ـ Happy new year

فقط جعلت أنفاسي اللاهثة تتحدث بدلًا عني، زمجرت عيناي غضبًا بينما هي غرقت في ضحكتها الماكرة وقالت بحب هذه المرة:

– كل سنة وأنتِ معايا!

انهلت عليها ضربًا فتزحزحنا إلى داخل الشقة وأغلقتُ الباب

بعنف وأنا ما بين غضبي وابتسامتي التي لم أستطع منعها، ولكنها قررت أن تسكت شرارة الغضب إلى الأبد فأخذت من جانبها هدية كبيرة على شكل مكعب ملفوفة بشرائط الهدايا.. لم أملك إلا أن أحتضنها وأخبرها كم هي مجنونة.. وستظل مجنونتي الدائمة.. فتحنا تلك الهدية سويًا.. شجرة كريسماس صغيرة، عُلقت بها بجانب ـ الكرات والحلوى ـ صور صغيرة أصغر من كف اليد، لأعتى وأجن لحظات مرت علينا، بما فيها صورتنا المعتوهة يوم أن التقينا لأول مرة.. وفي أسفل الصندوق وجدت كارتًا كتب فيه بخط رقيق:

– بحبك يا مجنونتي.

ورغم تميز كل ما في هذا اليوم، إلا أنه تميز في ذاكرتي بدموعي المنهمرة في فرحة وغير تصديق، بأن يستجيب الخالق لدعوة ظننتها مستحيلة، ولكنها أمامي.. احتضنها.. ولا يكفيني إلا أن أظل واقفة أمامها.. وأبتسم عندما أرى تلك اللمعة في عينيها، لمعة اعتقدت أنها لن تنطفئ أبدًا.. وتذهب من كل مكان.. إلا في ذكرياتي.

**

11 أبريل 2016.. كافيه

جاءت سلمى إليَّ بالأخبار السعيدة، قائلة إن زياد ـ زميلنا في الكلية وحبها من طرف واحد ـ قد انفصل عن حبيبته، وهي الوحيدة

التي تقف بجانبه الآن في محنته، فتقربت علاقتهما إلى صداقة قوية ترابطت يومًا بعد يوم، استيقظت سعيدة بيومها ليس فقط لأنه عيد ميلادها، ولكنها لأنها متفائلة أنه سوف يجهز شيئًا ما لها، لدرجة أنها رجتني أشد الرجاء منذ أسبوع، إن كنت سأجهز لحفلة أو شيء ما بخصوص عيد ميلادها فلا أخبره أو أدعوه، وأتركه لتراه ماذا سيفعل من تلقاء نفسه، وليته لم يفعل..

تفاجأت سلمى يومها ببوست بارد، سخيف على الفيسبوك ورسالة لا تختلف عنه كثيرًا في تهنئة تكاد تكون أقرب للتعزئة:

- كل سنة وأنت طيب ياسطاااا وعقبال مليون سنة يارب.

وكان رد فعلي مفاجئًا أيضًا:

- ياسطى؟! هو بيحتفل بعيد ميلاد عبده سواق التوك توك؟

التوت ملامح سلمى في ضحك ممتزج بحزن لا يتزحزح، ربتُّ على كتفها وذهبنا إلى كافيه بعيد في مكان لا تختلط فيه ذكرياتنا برائحته أو بمقاعده، ومن دون مقدمات أعطيتها الهدية وقلت كمن أخذ أقراصًا للشجاعة:

- أنتِ أحلى حاجة حصلت في حياتي، وعشان كده هفضل كل سنة أحتفل بعيد ميلادك لوحدنا، لأن مفيش حد هيشاركني فيكي.. لا زياد ولا أي حد ممكن ياخدك مني.

أطرقت نظري للهدية في علامة لأن تفتحها، فتحتها لتجدها علبة

مكياج ضخمة من ماركة عالمية كانت ترغب بها دائمًا، وعلم الله كم تكلفت فيها.. قلت بحب:

– دي عشان تبقي حلوة في عيون الناس اللي هتشوفك.

وقبل أن تنطق أخرجت من جيبي سلسلة على شكل كتاب مفتوح طبع عليه صورة لنا، كتلك الدلايات القديمة التي صنعوها ليجدوا بها بعضهم البعض.. قلت وأنا أعطيها إياها:

– ودي عشان أنا شايفاكي علطول جميلة..

ثم داعبتها وهي تمسح دمعتين غدرا بها وسقطا خلسة:

– لو قلعتيها هشوفك وحشة!

ضحكت واحتضنتني بقوة، ألبستها السلسلة واحتضنتها مرة أخرى، احتضانًا جعلني أنسى ذكرياتي المؤلمة وقلبي المحطم ولياليّ السوداء وما دفعته في كل هذه الهدايا أيضًا.

أين أنت يا ملك النسيان!!!

**

12 أغسطس 2016.. مطعم صيني

عيد ميلادي.. قررت سلمى نيابة عني أن نقضي هذا اليوم سويًا متنقلين بين مختلف الأماكن الغريبة والمختلفة، خرجنا منذ الصباح وذهبنا في رحلة نيلية وركضنا في شوارع المعادي صباحًا، والآن نأكل طعامًا لا نستطيع نطق اسمه من ضمن قائمة مطولة في مطعم صيني،

obeikandl.com

ورغم غرابة ما كنت آكله، ولكنني تعمقت أنا وسلمى بالحديث حتى انتهينا من الطعام كله، وسبقتها للحمام لأغسل يدي وأعدّل من ملابسي ومكياجي لننطلق إلى مكان مجنون آخر لا أعلم عنه شيئًا، وعندما عدت لم أجد سلمى!!

كانت المنضدة فارغة وباقي المطعم خاليًا من البشر تقريبًا، ناديت على الجرسون وسألته عن سلمى فأخبرني أنها في الدور العلوي حتى تستطيع شحن هاتفها، فلا توجد هنا أي أكباس أو فتحات كهربية!!

هفف.. ظننت أنها قد ورطتني في حساب المطعم.. هههههه.. ما هذا؟ لماذا الطابق العلوي مظلم ومعتم لهذه الدرجة.. ماهذا السكون ؟؟ سلمى ؟؟؟؟

فُتح النور فجأة لأجد خمسة من أصدقائي ملتفين حول المنضدة التي حملت تورتة كبيرة امتلأت بالشموع وكان مطبوعًا عليها إحدى الصور المحببة لي.. سلمى ورانيا وتركي صديقنا من الكلية وزياد أيضًا.. أتذكر هذا اليوم كالبارحة، أتذكر ضحكاتي إلى الآن.. أتذكر شغفي بالحياة.. إدراكي حقًّا لمعنى الصداقة.. وحب لا ينتهي مهما طالت المسافات..

حبيبتي.. لقد تعاهدنا ألا تفرقنا المسافات والأمتار مهما بلغ عرضها السماوات والأرض.. أتظنيها قد تفرقنا ارتفاعًا؟ فأنا فوق الأرض وأنتِ تحتها، ورغم ذلك تطيب روحكِ في الجنة.. وألتهب

أنا اشتياقًا وألمًا في النار.. ألم تفتقديني؟!

**

لم تكن سلمى بالنسبة إليّ مجرد صديقة طيبة تحلو بطيبتها الدنيا، ولكن كانت (أنا) في عالم موازٍ.. كانت المرآة التي لا أرى نفسي فيها إلا كما أتمنى أن أكون، ربما بالغت في حبي أو تعلقي بها.. فالحياة لا تتوقف على وجود شخص بها، وإنما تتحرك في دأب غير مكترثة بآهاتنا ودموعنا.. ولكن ما اكتشفته بعد غياب سلمى أسقط هذه النظرية أرضًا.. فالحياة لم تعد كئيبة فحسب.. وإنما لم تعد حياة أصلًا!

كانت المستشفى قاتمة بشكل مخيف رغم أنني اعتدتها.. لا تحوي سوى روائح الموت والفراق والوجع، فهذا هو نفس المكان الذي أتيت إليه منذ شهر، والذي أذهب إليه أكثر من منزلي.. وهو نفسه الذي ترقد فيه مدام لبنى في غيبوبة ظننتها مطولة.. ولكنها كانت قصيرة..جدًا!

وجدتها فجأة تشد على يدي، تنظر إلى ملامحي المتهالكة التي تؤكد ظنونها، تحدثت بصعوبة:

– سلمى.. سلمى فين يا..سا..رة

لم آخذ إذنًا للبكاء، ظللت أبكي على راحة يديها التي لم أتركها لحظة وقلت:

– سلمى... ماتت...

- ماتت إزاي !!! أنتِ بتقولي إيه؟؟

نزعت يدها من يدي ونظرت لي بغضب واستوعبت الخبر لأول مرة، أحضرت الأطباء المختصين بحالتها الذين حاولوا تفحصها بينما هي تصرخ وتبعد أيديهم عنها في غضب.. أمر الطبيب الممرضة بأن تأتي على الفور بحقنة مخدرة ولكن قبل أن تمس أقدامها عتبة الباب.. استقام خط رسم القلب في الجهاز المعلق أمامي، ليحدث صفيرًا مزعجًا ومخيفًا.. ليعلن انسحاب روح أخرى أحببتها وعشقتها لعالم آخر أنقى من عالمنا هذا، نظرت إلى جسد مدام لبنى تغط في سبات عميق، نوم أبدي.. وتوقف قلبها عن الإخفاق.. وأخفقت أنا آلاف المرات في حياة أحاطتني برائحة الموت وألبستني إياه بقوة.. ماتت ماما لبنى.. ليختفي أثر سلمى كاملًا من حياتي.

**

يقولون دائمًا أن ضربتين على الرأس قد تخمد قواك إلى الأبد، ولكن بشكل ما لم أفسره إلى الآن.. ذهبت يومها إلى المنزل في صدمة دون إغماءات أو حتى بكاء، دخلت إلى المنزل ارتميت في حضن أمي صامتة لا تنزل مني دمعة، بينما هي تربت على كتفي وتخبرني أنها قد علمت بالخبر عندما اتصلت بالمستشفى اليوم لتطمئن عليّ بعد أن اعتدت النزول دون هاتفي، وكانت قلقة مرعوبة على ما وصلت إليه من حال، ثم نادت أبي بفرحة متوترة:

- سارة جت يا صلاح.

فخرج أبي ليطمئن عليّ ويعزيني مرة أخرى في أم سارة.. لم أكذبه القول فالبقاء فعلًا لله وحده، وفي حالتي هذا فربما أصبح التالية وأرتاح من وجعي هذا إلى الأبد.

دخلت إلى الحمام لأغسل جسدي من أوجاعه التي فاقت ذنوبه، حينها رن جرس الباب ـ كعادة منزلنا في الفترة الأخيرة لا يخلو من الضيوف ـ طرقت أمي الباب عليّ لتستعجلني أن أخرج لصديقتي.. أي أصدقاء؟ لا أريد مقابلة أحد ولا يوجد لديّ أصدقاء منذ أن ماتت سلمى.. مازالت الكلمة ثقيلة على لساني.. ماتت سلمى..

آه يا سارة دائمًا ما تضيعين عمرك بالتفكير، كفاكِ.. لم تكن سلمى لتسعد بتفكيرك هذا..

دخلت إلى غرفتي أبحث عن ضيفي الثقيل الذي جاء إليّ الآن ظنًا منه أنه سيحل عقدتي بعصاه السحرية، ولكني تسمّرت عندما وجدت على مكتبي علبة ملونة مزخرفة بألوان مبهجة، وتفوح منها رائحة سلمى!! خفت وارتعدت أوصالي، وأخذني عقلي إلى خيالات لا تمت للواقع بصلة، اقتربت من الهدية أتفحصها، لمستها بحذر وكأنني أمسك بأسلاك قنبلة مؤقتة.. وقبل أن أفعل أي شيء آخر.. سمعت صوتًا من ورائي.. أفزعني:

- دي هدية عيد ميلادك.. هدية سلمى..

التفت بذعر لأجد رانيا تقف أمامي وتنظر لي بضعف وشفقة لم أعتد عليهما منها، وكما تناسيت ذلك اليوم المشئوم في لحظات نمتها ولم أهنأ بها.. نظرت لعينيّ رانيا المتورمتين، وتذكرت من خلالها كل شيء حدث بالتفصيل

**

15أغسطس 2017 منزلي

عدت إلى منزلي متوترة من تأخري لبعد الثانية عشرة صباحًا، ولكني فوجئت بالجميع مبتسمًا وسعيدًا لقدومي، يمزحون معي ويسخرون من بياتي مع سلمى المستمر.. لم أفهم شيئًا فأنا لم أرَ سلمى منذ أسبوعين، بل لم أرد على مكالماتها حتى لا تلومني عن انقطاعي عنها، وقبل أن أفهم أي شيء وجدت سلمى تخرج من غرفتي، تمتزج نظراتها باللوم والفرحة في ذات الوقت، أخذتني للداخل وطلبت من أمي برفق أن تحضر لنا بعض الطعام، تفحصتني جيدًا واستجوبتني كعادتها في كل ما فاتها في أحداث، سردت لها قصة سيف الذي ظهر في حياتي مؤخرًا وتصرفاته غير المفهومة، وماطلت هي في الكلام حتى يتسنى لأمي وأبي أن يجهزا ما تبقى من زينة عيد ميلادي، لم يكن في داخلي ذرة شك أنهم يدبرون شيئًا، فقد كنت ممتنة لسلمى لتغطيتها على تأخيري باختراعها كذبة الأجندات هذه، بل وأخبرتها أيضًا أنها هي من أقنعتني أن أمكث خارج المنزل طويلًا حتى أتأخر قدر

المستطاع فيرتبوا الأمر.. وقد انطلى عليهما كل ذلك! وربما لم يصدقا أي حرف مما قالته، ولكن إذا تدخلت سلمى بالموضوع بات كل شيء أيسر من تدفق الماء..

خرجت للعشاء المزعوم وفي داخلي ألف سؤال.. لماذا فعلت سلمى ذلك؟ وكيف علمت بأني سأتأخر اليوم لتخترع كل هذا؟ والأهم.. لماذا تفعل هذا لي؟؟ عليها أن تكون غاضبة مني الآن.. عليها أن تخاصمني لإهمالي لها وإخفائي عنها كل أموري المهمة وعدم الرد عليها لأكثر من أسبوعين.. فآخر شيء علمته عني كان عيد ميلاد رؤى عندما سردت لها ليلًا ما دار بيني وبين سيف نعم.. عليها أن تكون غاضبة جدًا، لا أن تأتي وتخفي عن والديّ الحقيقة لتمنع توبيخهما اليومي و.....

حفلة عيد ميلادي؟!

رغم ابتسامتي التي اتسعت في دهشة، ولكني مصدومة.. نظرت لسلمى التي فسرت عينيها إجابات كل أسئلتي.. وقالت بصوت حنون معاتب:

- كل سنة وأنتِ طيبة.

احتضنتها ومن ثم أمي وأبي اللذين بدت عليهما الفرحة لطقسنا السنوي.. وكانت سلمى جزءًا أساسيًا من هذا الطقس.. كانت صديقة بنكهة الحياة.

وبعد الضحكات التي طالت حتى الصباح، واحتفلنا حول كعكة عيد ميلاد منزلية صنعتها أمي بمهارة، وألعاب الورق التي لم نكتفِ منها.. أخذت أمي هدية سلمى خاصتي وأخفتها عني كعادتها حتى لا أفتحها إلا يوم ميلادي.. أي بعد أسبوع من الآن.

وفي نفس الليلة باتت سلمى معي، حادثت أمها أولًا لتستأذنها وأخبرتها عن عيد ميلادي فوافقت على مبيتها معي.. لدرجة أن سلمى أخبرتها أنها تحبها فوق العشر مرات دون أدعى سبب، برغم أنها دائمًا ما تبات معي!

وبعد مكالمة مطولة مع أمها، دخلنا إلى غرفتي لنتسامر ونتحدث عما تبقى في موضوع سيف وبعد أن سمعت رأيها، بدأت فصلها من المعاتبة واللوم على ما فعلته بها الأيام الماضية، تركتها تتحدث بل وبكت أيضًا فأخذت أعتذر دون توقف.. حادثتني عن كل ذكرياتها السعيدة والحزينة.. وكل تفاصيلها التي لم أعاصرها.. سردت لي حكايات من الماضي لم أسمع عنها قط من قبل، وأمنيات مستقبلية لم أكن على علم بها.. واختتمت كلامها فقالت:

– وبحبك.. وبحب إنك موجودة في كل تفصيلة من دول.

احتضنتني بقوة، ثم شغلت الأغنية الجديدة التي سمعتها مؤخرًا.. مصطفى أمين ، الرقصة الأخيرة:

احضنيني بقلب جامد هي ضمة الوداع، وإن

شافونا ألف واحد منشوفيش ولا حد فيهم واحضنيني عالمشاع..

وأخذتنا الأغنية التي ظلت تتكرر تلقائيًا لدرجة أننا اندمجنا ورقصنا عليها في مرح وضحك مخلوط بنظرات حب لم يفهمها سوانا، واعتزاز بصداقة تأتي في العمر مرة واحدة فقط، إن أتت.

أنهكتنا الأحاديث والضحكات، ونمنا.. استغرقنا في النوم، استيقظت في اليوم التالي بحماس لم أجده فيها لأنها ماتت! ماتت وعليّ أن أقولها وأنطقها مرارًا وتكرارًا حتى أقتنع بها وأدركها تمامًا.. ماتت سلمى.

تذكرت تلك الصرخة المستغيثة التي خرجت من حنجرتي إلى آذان الجميع، أتى أبواي مهرولين، لم يفهما لماذا أرتمي على سلمى وأحضنها وأصرخ، جذباني داخل حضنهما وأتى د.سامي الذي يسكن أمامنا ليقيس نبضها ويتأكد.. وتأكد الأمر!

كان على أمي مهمة أن تحادث مدام لبنى وتخبرها، وبين غمضة عين وجدتها أمامي.. ارتميت في حضنها وتركت حضن أمي لاهثة إليها، لم تستوعب حركاتي وصراخي وتنقلت بعينيها بين جميع الغرف حتى لمحت جسد ابنتها فى غرفتي، فهرولت إليها وتركتني أسقط أرضًا من بين يديها أنظر لها بنصف عين مفتوحة، أراها تتفحص جسدها، تهزها بقوة.. أسمع صوتها يصرخ في صدى ابتعد مداه.. وأغمض

عيني المنهكة، فقط أسمع أصواتًا لأقدام مهرولة نحو كلينا، رأيت خيالات لسلمى تودعني.. وأستغيث بها من كل هذا.. ربما أستيقظ الآن لأجدها تتشاجر معي لكسلي، ولكني استيقظت في المستشفى.. أتشاجر معهم جميعًا وأتهمهم بالإهمال والكسل.. لأنهم لم يجدوا سلمى... أين سلمى؟؟!

الوضع مربك وغير مفهوم، سلمى ميتة في منزلي.. أمها ـ عائلها الوحيد ـ في غيبوبة مطولة فى المشفى، وصديقتها المقربة ـ أنا ـ تمكث أيامًا في المستشفى أيضًا ما بين المحاليل والانهيار العصبي والمهدئات.. كيف سيتصرفان؟!

حادثت أمي مدام نهال ـ خالة سلمى ـ بعد العناء في البحث عن أحد أقارب سلمى، وبعد كثير من الصراخ.. وعندما علم الجميع بوفاة سلمى، جهزوا نعشها وكفنّوها بقماش أبيض كقلبها النقي، صلّوا عليها صلاة الجنازة التي لم أحضرها! منعني عنها أبواي متحججين بإعيائي في المستشفى لأنهما يعلمان جيدًا ما كنت سأفعله لو حضرت موقفًا كهذا، وما تأثيره عليّ في المستقبل.. لأنني حينها ما كنت لأتذكر سوى هذا المشهد.. أصلّي على صديقتي الوحيدة!! فكنت سأغمض عينيَّ لأرى جثتها أمامي، نقف أمامها، وندعو لها ببكاء حار.. لم تبرد حرارته.

بل الأسوأ، أن أمها لم تحضر كل هذا! تعافيت في اليوم الثالث

من وفاتها لأذهب إلى العزاء.. أواسي أهلها بينما أنا من أستحق هذه المواساة.. ولم تحضر أمها أيضًا.. أيعقل هذا؟!!

انتظرها الجميع يومين بعد الدفن ربما تفيق، ولكن الخالق رأى أن قلبها أضعف من مشهد كهذا.

وخلال ثلاثة أيام العزاء، رأيت كل من أعرفهم على وجه الأرض.. حتى سيف الذي كنت نسيت أمره رأيته أمامي بعد كل هذا الغياب والضعف الذي تملّكني، وجدتني أجهش بالبكاء بمجرد إمساكه بيدي ليربت عليها ويواسيني.. كان أبواي يترددان عليّ بين الحين والآخر خوفًا من أن أسقط مرة في إغماءة مؤقتة.. أو أبدية.

تركني سيف وجاءت إليّ شلة الكلية التي لم أسمع منهم شيئًا تقريبًا منذ حادثة السيارة، منهارين.. يبكون في صمت.. يربتون على كتفي ويحتضونني كلما أدركت الواقع أكثر وتعمقت فيه، وكأن من مات للتو.. أمي أو أحد أفراد أسرتي.. وكانت كذلك.

مرت تلك الليلة بصعوبة.. تخللت الأيام بعض من الإغماءات والإعياء النفسي، تنقلت بين المستشفيات مغيبة عن الوعي.. أدرك كثيرًا من حقائق الحياة وأجهل أهم حقيقة لأنني لن أستطيع التعايش معها.. ذهبت سلمى ولن تعد.

ظللت في المستشفى محتجزة لأسبوعين، لا أشعر بشيء.. يدسون بجسدي محاليل غذائية، تمنيت أن يضعوا بها أقراصًا للنسيان.. أو

للتعافي.

لم يفت سوى شهر واحد، قضيته بين مراسم الدفن والعزاء.. والمستشفيات.. وآخر أسبوع قضيته مع ماما لبنى أنتظر تعافيها.. علّها تكون خير من يشد أزري.. ولكن القدر كان له رأي آخر.

يسعني القول بأنني تحسنت قليلًا عن ذاك اليوم.. حتى دخلت إلى غرفتي ذات يوم لأجدها غارقة في رائحة سلمى المميزة، وعلى مكتبي هديتها لي في عيد ميلادي التي لم أفتحها بعد، وصوت رانيا تبث بداخلي خيطًا جديدًا من الأمل.. تبتسم دامعة قائلة بحب: افتحيها.

**

obeikandl.com

obeikandl.com

5

ما كنت أبحث عنك، كنت أبحث عن نفسي داخلك..

«فالحياة قصيرة جدًا، على أن نبددها في تضحيات غبية»

كيرلس بهجت

obeikandl.com

25 سبتمبر 2017

أخذت أنا تلك الهدية وفتحتها.. خفق قلبي بسرعة، وحتى هذه اللحظة تحديدًا لم أكن أعلم سوى شيء واحد.. لن تعود الحياة كما كانت.. إن عادت.

**

أجندة العام الجديد لأكتب بها ما يخطر ببالي، مفكرة صغيرة تحوي وتضم أفكاري كلها، وزجاجة عبئت برائحة صديقة لن أراها مرة أخرى، فقط سأشم رائحتها وأهرول بحثًا عنها، ولن أجدها في أي مكان.. رغم احتلال طيفها لمحيطي للأبد.

بينما رأى الجميع أن الميت هو جسد بلا روح، شخص انتهى وجوده من حياتك بشكل مفاجئ وغير متوقع، رأيته أنا.. شخصًا يحيا للأبد بداخل أحبائه، بمجرد أن يموت.

من المفترض أن تكون هي معي الآن، نفتحها وهي تنظر لي بعينين شغوفتين منتظرة لاحتضان يضم أضلاعها بداخلي، ولكن بدلًا من

obeikandl.com

ذلك كانت رانيا هنا مكانها.. تقف مبتسمة دامعة، بل منهارة تكتم بكاءها خشية أن تعديني ورغم قسوة المشهد ولكني فعلت ما كنت سأفعله لو كانت سلمى أمامي، احتضنتها، صرخت.. وجعلتها تنفجر بالبكاء معي:

– حبيبتي أنتِ بقالك شهر في اكتئاب.. شهر ونص كمان! سلمى لو كانت موجودة مكانتش هتفرح أبدًا بحالتك دي.

قالت بشرود مثلي وأنا ألعب في يديَّ بتوتر.. أمسح دموعي التي تنزل فجأة:

– سلمى ماتت.. لازم تقنعي نفسك بده عشان دي الحقيقة مهما كانت صعبة.. ارجعي لحياتك يا سارة.. عشان في حاجات كتير مستنياكي ترجعي.

قالت جملتها الأخيرة وهي تميل على كتفي وتأخذني في حضنها كابنتها المدللة بينما قلت أنا بصوت مبحوح:

– هو أنا مينفعش أروحلها؟

– مش معنى إننا مش هينفع نعيش من غير سلمى، إننا نموت يا سارة.. لازم تاخدي وقتك وتفوقي، وأنا عندي يا ستي اللى يفوقك ويشغل وقتك.

نظرت لها باستجداء منتظرة منها أي حل لما نزل بي.. نظرت لي بعينين مولعتين بحماس راكد وقالت:

- بس تسمعي كلامي؟

**

نحن ـ كبشر ـ نميل أكثر لدائرة الحزن ودور الضحية المغلوبة على أمرها سواء أكان يليق بنا أم لا، ولكننا في كل الأحوال نحبه.. بل ندمنه، ندمن أن يكون هناك سبب عظيم لفشلنا واكتئابنا لكي لا نشعر يومًا بأننا سبب ولو بسيطًا فيما نحن فيه، ندمن أن يتعاطف الآخرون معنا ويظهروا الشفقة في العلن وكأننا نستمد طاقاتنا من هذه الشفقة، وبمعنى أوضح..

نميل لأن نترجم هذا التعاطف إلى تصفيق حار، نسمع كلماتهم لننتشي بها وكأننا فعلنا للتو شيئًا عظيمًا..

نحن.. بشر.. طبيعتنا هي الخطأ، الذنب، الأنانية.. ولكن القدير كانت له حكمة عندما جعل الخطأ من أقدارنا، والتمادي فيه بكامل اختيارنا.

**

كانت رانيا نوعًا ما منظمة، بمجرد أن أعطيتها الموافقة وقبلت بمساعدتها لي، وجدتها تركن كل ما افترشناه من هدايا وتأخذ بعض الورق والأقلام وتخطط لي حياتي من جديد عسى أن تجد فيها شيئًا يستحق المعافرة، اتفقنا أن أول خطوة لمواصلة حياتي بشكل طبيعي، هي العودة مرة أخرى لتلك الحياة التى أحببتها وفقدتها بمجرد أن

فقدت سلمى، الأفلام والمسلسلات التى دائمًا ما أحللها وتؤثر فيّ بشكل كبير، وكتاباتي التى توقفت عنها لمدة شهرين تقريبًا، وروتيني اليومي الذي كنت أفتقده بشكل مرعب، أنهت رانيا كلامها وتركت القلم فوق الورق وقالت بحسم:

- كده مش ناقص غير حاجة واحدة..

قالت بحذر من لا تريد نطقها:

- سيف..

ارتعد قلبي وخفق فجأة، وكأنني نسيت بالفعل من يكون، وما دوره في حياتي، كل ما فعله عقلي حينها أنه أتى بكل التفاصيل التي ربطتنا سويًا، تنهدت باشتياق وقلت لرانيا بتعب شديد:

- هو عامل إيه؟

قالت رانيا بحب:

- كويس.. هو بس قلقان عليكِ ومش عارف يوصلك.. سارة هو أنتِ بتحبيه؟

**

هناك نوعان من الأسئلة المباشرة، ذات النوع الذي تكون إجابته جاهزة بعقلنا منذ اللحظة الأولى فإما أن نجيب بها أو أن نخفيها ونقول «لا».

أما النوع الثاني فإجابته لا تعرف محلًا من الإعراب، إجابة عائمة لا

تعرف ماهيتها ولكنها تعد صادقة تمامًا وتعبر عما نعنيه، لذلك عندما سألتني رانيا هذا السؤال صمتُّ لدقائق واسترجعت كل الذكريات الفائتة، لأرد عليها بهذه الإجابة.. من النوع الثاني «معرفش».

**

29 سبتمبر 2017

فتحت صفحتي على الفيس بوك لأندمج بعالمي مرة أخرى لأفاجأ أن الرسائل تعدت المائة واحدة على صفحتي الشخصية، وأضعافها موجودة على صفحة الموقِف ، إعجابات الصفحة تعدت الـ20 ألف متابع!

خطفت نظرات على التعليقات والرسائل المهولة، بحثت عن المنشور الأكثر مشاهدة وجدته الأخير، الذي كتبته ليلة وفاة سلمى عندما كانت نائمة هنا بجانبي:

– إزاي أقدر أنساها بالسهولة دي، وأضمن منين إن اللي بعدها مش هتبقى زيها!

– فقدت الثقة في كل الناس.. مش عايزة حد أحسن أنا عايزاه هو..!

– نسيتها بس مش هقدر أجيب حد مكانها.. مش هقدر..

– مش هعرف أدوس على زرار وأنساه.. لأني مدوستش على زرار وحبيته!!

- أنا إيه اللي خلاني أعرفها وأحبها، مش لو كنت عديت من جنبها ومسألتهاش عالشارع مكنتش عرفتها!

- مش كان أحسن لو كان خبط في حد غيري وحب حد تاني وكان زماني لسة سنجل!

- مستحيل أكون حبيتها بجد.. لإنه لو بجد كان هيكمل!

- دايمًا بنقابل الشخص المناسب لينا بالضبط بس..

- في الوقت غير المناسب على الإطلاق!

- معرفش الإحساس ده اسمه إيه بس مجازًا.. حب ؟

- اشتياق ؟

- وجع..

- روح ؟

- حلم جميل..

- خلص بس مفوقناش منه..

- وقلب بكابوس..

- أنا منسيتهاش ولسه..

- بحبه... أنا تعبانة ونفسي..

- أنساها بقى.. مبقتش مستحمل عدم وجودها..

- ولا حتى مستحملة وجوده.. ياريت لو نقدر ندوس على زرار وننسى.. أنا لسه...

obeikandl.com

-.. بحبها.. والله...

-.. لسه بحبه!

**

قضيت وقتًا طويلًا في البحث ومحاولة معرفة كيف حدث كل هذا، وبعد بحث وجدت السبب، فهناك من نشره على جروب به عدد كبير من البشر، والآخر نشره على صفحته التى تحوي عددًا هائلًا من المتابعين، فهناك ثلاثة ممن قاموا بمشاركته مشهورين إلى حد كبير، وهناك أكثر من صفحة مماثلة نشرته مع الكثير من كلمات التشجيع، وهكذا أخذ الـpost طريقه في الانتشار حتى يومنا هذا! ودون أدنى كذب، لقد كنت في حالة أخرى، كنت مغمورة بالفرحة الغريبة التى لا تتناسب مع حياتي الحالية.. كنت أضحك، أدمع من فرط الفرحة والصدمة، ورغم ذلك كنت في قمة التوازن النفسي.

بحثت عن أي شخص أقص عليه هذه الفرحة وهذه الحالة، لم أرد لهذا الضوء القليل أن ينطفئ، وفي الحال حادثت سيف على الهاتف، الذي بدا فرحًا لصوتي هذا، غير فرحته بالخبر ذاته، تحادثنا كثيرًا، بداية من اشتياقه لي ولصوتي.. وآخر أنه يريد رؤيتي اليوم، وبالفعل جهزت وذهبت لمقابلته في الحال، وعندما رأتني أمي بتلك الابتسامة لم تهتم أين سأذهب مادمت سآخذ هذه الابتسامة معي وسأعود بها.. وغير ذلك لا يهم.

**

نظر للهاتف نظرة من مستعد لأن يقول لابنه أن ما رسمه للتو رائع رغم بشاعته، كنت أعرف أنه يشفق على حالي مثل البقية، ولكن بدت عليه صدمة الإعجاب وهو يقرأ، صدمة أحب أن أراها في عين من يقرأ لي، وأحببت رؤيتها فيه..

- حلوة؟

- أوي يخرب عقلك..

صمتَّ لدقيقة تقريبًا والابتسامة لم تفارق وجهي، ابتسامة باهتة إلى حد ما، حتى قال سيف:

- مالك؟!

نظرت للأرض وقلت في يأس اعتدته هذه الفترة:

- البوست ده كتبته يوم ما سلمى ماتت.. الفكرة إني مبسوطة أوي، ومستكترة على نفسي الانبساط من غيرها..

توقفت عن السير في الشارع الهادئ الذي كنا نسير فيه ونظرت له ليتوقف هو الآخر وأقول:

- أنا كنت نسيت يعني إيه انبساط.. ودلوقتي افتكرت إحساس الفرحة بيبقى إزاي.. بس المرة دي الفرحة ناقصة.. وهتفضل ناقصة..

كان سيف ينظر لي وأنا أتحدث كمن يشاهد عرضًا في السيرك، مهتمًا، مشفقًا، مصدومًا، لم يكن ليتوقع أن تخرج تلك الكلمات الدفينة

obeikandl.com

فجأة، والأهم أن تخرج له هو.. رأيت في عينيه حيرة من وقع عليه الرد في مسابقة من سيربح المليون ولا يوجد أي وسيلة مساعدة فقط اختيارات عدة.. واختار هو الأبعد عن التوقع.. لينجح تمامًا:

- إيه ده ؟؟

قالها وهو ينظر ليدي اليمنى التى كانت تتحرك في لغة جسد اعتدت عليها، قلت بعدم فهم:

- دي إيدي!

نظر لي باشمئزاز من فرحتي وأمسك بيدي وهو يضعها نصب عيني حتى أرى خاتمه الذي أعطاه لي منذ شهرين ومازلت أرتديه إلى الآن.. ابتسمت وقلت:

- آه ده بقى جزء من إيدي خلاص.

ابتسم هو بينما كانت يدي ترتعش، خاصة أنه لم يتركها لحظة واحدة، وكذلك كان قلبي، نظر في عيني مباشرة وقال:

ـ متخافيش...

لم تترك عيناي فرصة كهذه إلا وانتهزتها.. ظلت يدي ترتعش حتى لاحظ هو ارتباكي، فشد عليها أكثر دون أن يرحمها.. وقال:

- طول ما أنا جنبك متخافيش.

ورغم استهلاك الجملة في كل العلاقات الرومانسية، ولكني قبلتها ورضيت بها.. واكتفيت بيدي التي تلامس يده.. واطمأننت.

obeikandl.com

10 أكتوبر 2017

وبمرور الأيام كثرت لقاءاتي مع سيف كما كثرت كتاباتي الفترة الأخيرة..

«مش مهم الحب، قد ما مهم إنك تبقى حاسس بأمان والحب ييجي على المهل» شاهدت التفاعل السريع مع ما كتبته فور نشره.. وكذلك الرسائل التى لم أستطع أبدًا أن أنهيها مرة واحدة التى تطالب جميعًا بجزء آخر من ذلك الـscript ولم أستطع فعل هذا، فأخذت هاتفي وحادثت سيف كعادتنا كل يوم:

- هشوفك النهاردة ؟
- هتشوفيني كل يوم لحد ما تزهقي.
- هههههههه طب قول لحد ما تزهق أنت، أنا واحدة بائسة ما بتصدق تخرج.
- عمري ماهزهق منك،

صمت فـ...

- سيف بقولك إيه؟!
- قولي.
- ممكن أشوفك دلوقتي؟!
- مش كنا متفقين على بالليل؟ في حاجة ولا إيه؟

obeikandl.com

تنهدت فقلت:

– آه.. بس أنا عايزة أحكيلك حاجة، وهتاخد وقت.. أنت فاضي؟

– أفضالك.. البسي يلا وأنا هكلمك كمان نصاية.. نتقابل في الدقي زي كل مرة..

**

«زي كل مرة» أصبح طقسنا اليومي هو التمشية في شوارع الدقي ووسط البلد والتحدث عن أي شيء...

استنتاجات الواقع.. ما هي إلا انعكاسات لتجربتنا الخاصة، نستنتج من الألم دوامُه، ومن الضحك فناءه، نستنج من الأمان الحب.. ولا نستنتج من الحب شيئًا، فقط نذهب حيث يأخذنا، إلى حيث مقدر لنا أن نكون.

من فرط لقاءاتنا نسيت نفسي، هذا الضوء الذي يأخذك بريقه حتى تتسنى لعينيك التركيز فيه ولا تلتفت عنه أبدًا، فإذا تلفتَّ وجدت ما حولك مشوشًا ببريق الضوء الذي كنت تهرب إليه منذ قليل، فترى العالم جميعه ما هو إلا تشويش يغطيه الحب وما آلت إليه الأمور من ألم وفرحة، واستنتاجات غبية.

**

صمتُّ لدقائق أتحدث فيها مع نفسي سرًا وأخبرها ألا تبكي الآن، تماسكت وقلت:

- مش عارفة يا سيف، أنا متلخبطة ومتغيرة حتى مش عايزة أجيب النتيجة بتاعتي عشان متعودة أجيبها مع سلمى..

همَّ بمقاطعتي ولكني سبقته:

- سيبني بس اتكلم، أنا عارفة اللى هتقوله..

أخبرته بارتباك عن تلك الخواطر التي تدور ببالي منذ أن ماتت سلمى، وأهمها هو ذلك السؤال «لماذا؟» لماذا هي بالأخص؟ ولماذا أنا؟ سردت عليه تفاصيلي أنا وسلمى وكم أفتقد مبيتي عندها في منزلها وتلك السهرات التي أفتقدها.. حقًا أفتقدها!

لم ترحمني بغيابها، وإن رحمني الزمن لحظات وأكرمني بنسيانها، أحاطتني رائحتها بتلك الزجاجة التي تركتها لي ولم أستطع الاستغناء عنها أبدًا.. لماذا؟! لماذا تعذبيني يا سلمى!!

صمتُّ لآذن لسيف بالرد الذي قاله فور صمتي:

- هي ريحتها حلوة بصراحة.

ضحكت من بين دموعي ليقول بجدية:

- متزعليش نفسك.. أنا جنبك وعمري ما هسيبك.

- سيف أنت بتعمل معايا كل ده ليه؟!

قال بفخر أقرب للتكبر:

- بعمل إيه؟ عشان يعني بقابلك وبضحكك وبرجعك مبسوطة وبجيبلك حاجات حلوة كل يوم وبفرحك ؟ لا لا **never mind**.

وكزته في كتفه بغيظ فضحك ضحكة لامعة، لأول مرة أتأمل ملامحه بتلك الدقة، ملامحه الهادئة وبشرته القمحية التى تميزت بتلك الغمازة التى تظهر عند اتساع ضحكته كما يتسع عالمي بها، وشعره الخشن الذي لم يميزه شيء، وعيناه الواسعتان بما فيه الكفاية لتسعاني بداخلهما وتحوياني.. كانت ملامحه عادية لدرجة مميزة، لدرجة تجعلك تجد فيها كل مرة شيئًا جديدًا، ظللت أنظر له طويلًا حتى لاحظ وقال في مزاح معتاد:

- بتشبهي عليَّ ولا إيه؟!

نظرت للأرض في خجل وأنا أضحك وقلت:

- أبدًا.. مستنياك تجاوب علي سؤالي.

قاطعته قبل أن يتحدث لأكمل:

- ومتقولش عشان ملكش غيري، عشان أنت ليك غيري كتير..

قال بجدية هذه المرة:

- بلاش.. ينفع مليش زيك؟ أو عشان ملكيش زيّ!

يشهد الله أن هذه أول مرة يدق قلبي بهذه السرعة منذ وفاة سلمى.. ولكنني صممت على الجدال:

- أنا عايزة أفهم أنا بالنسبالك إيه؟!

قال بعفوية شديدة:

- صاحبتي وأقرب حد ليا.

obeikandl.com

ربما تكون قصة سيف هذه هي القصة الأولى التى تسلك مسار الجدية ولا تكتفي بالحب من طرف واحد، الطرف الذي دائمًا ما يكون من نصيبي، وبعد ثوانٍ من التفكير، قررت أن أصمت.. ربما إذا تسرعت أفسدت كل شيء.. التروي.. دائمًا ما كانت سلمى تخبرني بهذا.. صمتٌ وقطع فترة الصمت، صوت سيف يغني.. على بالي ـ آدم.

**

19 أكتوبر 2017

«وماذا بعد؟» سؤال دائمًا ما كنت أسأله لسلمى كلما ترددت وتوقفت عن السير في طريقي، ولكن أين هي من كل هذا؟ أين هي الآن ؟؟

وللمرة الأولى منذ شهور أفعل هذا ولكني بالفعل انتظرت قدوم أبي من العمل، وأخبرت أمي أيضًا أنني أريد التحدث معهما بشأني.. انتابهما الفضول والقلق لأني لا أفعل هذا عادة ـ على الأقل في الوقت الحالي ـ.. ولكنهما نوعًا ما فرحا بذلك واعتبراه علامة خروجي للنور مرة أخرى بعد انطفائي..

– خير يا حبيبتي في حاجة؟!!

قالها أبي حينما جلس على كرسي الصالون يرتشف الشاي، وأمي تأتي من المطبخ بطبق حلويات لي.. وأنا ابتسامتي متسعة لكل هذا،

مصحوبة بقطرات دافئة تسكن عيني وتأبي الحركة، قلت بابتسامة راضية:

– مفيش وحشتوني وعايزة أتكلم معاكو شوية..

نظرت لي أمي بحب وجلست بجانبي لتحتضنني وقال أبي بصوت حنون:

– قبل بس ما تتكلمي، مبروك أنتِ جبتي جيد مرتفع أنا جبتلك النتيجة النهاردة.

لمعت عيناي في فرحة في غير محلها وقلت بصوت مبحوح:

– بجد؟

شردت لثوانٍ في أمر قرأه أبي في عيني:

– وسلمى جابت جيد جدًا.. الله يرحمها..

احتضنتني أمي بقوة وهي تهنئني على النجاح بينما طلب مني أبي التحدث بأريحية لأزيح عن نفسي تلك الغمة، أخبرتهما عن تلك الهدية التي كنت أحبها ما دامت سلمى معي، ولكنها الآن تعذبني، فلم أستطع كتابة حرف في تلك الأجندة دون أن أجهش بالبكاء ، ولا أستطيع أن أضع تلك الرائحة حتى أشرد في ملكوت آخر غير عالمنا هذا، أشرد في هذا الفيلم أو تلك الرواية التي أعيشها ولا تمت لي بصلة، فمن المفترض أن أكون ذلك البطل، أو عالأقل أحاول.. وإن باءت محاولاتي بالفشل، ولكنني لا أستطيع حتى المحاولة مرة أخرى،

لم أتمكن من تخيل عالم ملىء بالقاذورات، مظلم، محاط بحيوانات ضالة أسمع أصواتها المرعبة في صدى صوت أكثر إرعابًا، أمشي الطريق في خوف، أخشى التعثر في هذا أو تلك، لا أستطيع حتى تخيل فكرة أن عليّ عبور هذا الطريق وحدي، فقط لمجرد فكرة أن أرى نهايته!!

هل يعقل أن نعبر طريقًا موحشًا كئيبًا لم يكتب لنا ولم نختره فقط لنرى ما وراءه؟ وماذا إن كان ما وراءه طريق أكثر وحشة وغربة؟ ماذا لو كانت تلك النهايات المؤلمة لن تمر؟ ماذا لو كانت أبدية؟ هل رغم كل تلك المخاوف سنعبره؟ مصممين على الوصول لتلك النهاية التي لا نراها على مرمى بصرنا؟

صمتُّ في شرود بينما أبي وأمي يلقنانني نصائح اعتدت عليها لدرجة جعلتها غير مجدية النفع، وتبعت صمتي بدمعتين خامدتين احتوتهما أمي في حضنها، واحتواها أبي بجملته الأخيرة:

«اكتبي»

**

22 أكتوبر 2017

– أنتِ عارفة إيه أحلى حاجة في كل العك اللي حكتهولك ده؟

قالها وهو ينظر في عيني مباشرة بينما يطعمني من طبق الباستا الذي استقر أمامي، أخذت منه الشوكة في حرج وأطعمتها لنفسي، منتظرة إجابة سؤاله الذي طرحه للتو:

- أنتِ.

ابتسمت في صمت وتوتر قبل أن يقول:

- طب أنا حكتلك أهو أهم حاجة في حياتي احكيلي أنتِ كمان حاجة مهمة.

حركت عيني في حيرة وتوتر، وقلت محاولة تغيير دفة الحديث:

- أنت عارف؟ أنا عمر ما حد قعد معايا وسمعني كده وقالي احكي واتكلمي، دايمًا عندي إحساس إن اللي قدامي مش مستعد يسمع كل الهري اللي حصل في حياتي

قال وهو يضع يده فوق يدي:

- طب جربي.

سحبت يدي منه في ذوق وبدأت السرد، وبدأت عيناي تتحكمان في الأمر ، تلك الفلسفة المسماة بالماضي.. لم يكن لدي منه سوى القليل، لم أحصل على تجارب سيئة كافية لتجعله ماضيًا يستحق الحديث عنه أو عالأقل التعلم منه، كان الماضي دائمًا بالنسبة لي هو أي شيء بلا معنى، ولكن بعد أن ماتت سلمى تبدّل الأمر، فأصبحت أعيش في ذلك الماضي، أغرق في تفاصيله وأغترف منها غذائي وتنفسي ويومي بأكمله، للحظة شعرت وكأن العالم والناس أجمعين يتحركون بسرعة لم أرها من قبل، سرعة لا تتناسب مع توقف تلك اللحظة هنا.. لحظة موت سلمى.

مد يده بمنديل لأمسح ما سقط من عينيَّ للتو وقال بتركيز:

- يا بختك يا سلمى، خدتي كل الحب وأنا مفضليش غير مناديل

ضحكت بصوت عالٍ من كلمته هذه وأنا أمسح وجهي، وقلبي يدق في خوف ووجع.. وعقلي يفكر في اليوم بأكمله.. بكل تفاصيله..

**

5 نوفمبر 2017

هل للماضي دور في تشكيل حياة الإنسان؟ وإن كان له بالفعل أكثر من دور في تشكيل حاضرنا؟ فكيف لنا بتخطيه على أيّ حال؟ كيف لنا بتجاوزه بكل سهولة دون أن تتكون لدينا عقد نفسية لا نهاية لها؟ كيف ننسى الماضي ونواصل حاضرنا دون أن يتداخل الاثنان ويشكلان رابطة قوية ضدنا؟ عنوانها الخوف ومحتواها الاكتئاب؟ ودون أي فلسفة... كيف لا نفلسف مثل هذا التفكير؟

بعد أن سرد لي سيف حكايات عن ماضيه، لم أستطع إنكار خوفي ليلتها، وهو ما جعلني شاردة معظم الوقت أحاول بفشل أن أغير مجرى الحديث، بينما هو لاحظ سبب خوفي وتغاضى عنه.

**

- ده إحنا متخاصمين بقى!!

بعث لي تلك الرسالة على الفيس بوك بعد أن تجاهلت عدة مكالمات له، فكرت قليلًا قبل أن أرد ولكني لم أستطع الصبر أكثر من ذلك.

obeikandl.com

نعم سأصمم على موقفي، وعندما يلاحظ هو ذلك سأحدثه بما أغضبني منه، لحظة ؟!! ما الذي يغضبني منه تحديدًا؟!!!

نعم، منذ أسبوعين.. عندما كنا في المطعم نأكل ونضحك، وقررت فجأة بغبائي أن أسأله سؤالًا خارج مسار حديثنا:

- سيف احكيلي حاجة

- حدوتة يعني؟

- هههههه مش بهزر، احكيلي أي حاجة أنا مش عارفاها عنك

وبدأ هو بكل أريحية يتحدث عن صديقته وحب حياته من الجامعة، التي ارتبط بها لمدة تقترب من السنة ولأسباب لم يذكر منها سوى تعجرفها وأنانيتها انفصلا، تملكه الاكتئاب وتمكن منها الانهيار العصبي يوميًا، ولكن نوعًا ما اعتاد على شيء جعله يتعافى من حبها وألم قلبه، وعندما سألته عن ماهية هذا الشيء قال بتردد:

- أنام.

- هههههههههه لا والله جديدة دي.

- أنا لسه مكملتش!

- كمل آسفين يا سيدي.

- أنام مع واحدة أحلى منها، كنت كل ما ألاقي بنت أحلى من علا كنت بوقعها لحد ما أنام معاها وأحس إني شبعان وإني مش محتاج علا في حاجة، بس بطلت خلاص بعد ما كنت عملت شوية تموين زي

الفل هههههههه

أتعلم ذلك الإحساس بالرجفة والصدمة مصحوبين بالبرد في ذات الوقت؟ ذلك كان إحساسي ليلة بأكملها.. وتبعته بحديثي عن الماضي وعن سلمى، لم أنطق بكلمة، فقط اكتفيت بخوفي عائقًا لي لأرفض مثل هذا الحديث، أو عالأقل هذه العلاقة.. لذلك لا.. لن أرد عليه...

- طب سارة لو مخاصماني خليني أشوفك مرة أخيرة عالأقل!

واكتفيت بكلمة واحدة للرد:

- بكرة!

**

6 نوفمبر 2017

- غمضي عينك.

قالها بعدما جلسنا في أحد الكافيهات، بينما وجهي كان جامدًا لا تتحرك فيه خلية واحدة، وبعد توسل منه أغمضت عيني في ابتسامة لم أستطع منعها حتى سمعت صوتًا رفيعًا أشبه بصوت أراجوز السيرك.

- «سيف مكانش يقصد يضايقك هو بس بيرتاح معاكي فبيحكيلك»

فتحت عيني لأجد يده مرتدية دمية من القماش، يحركها لتتحدث بينما يغير هو نبرة صوته، صدرت مني ضحكة رقيعة لا أعلم أنني أحملها، ليكمل هو بنفس النبرة الطفولية:

obeikandi.com

- «متزعليش بقى»

حاولت منع ابتسامتي ولكني فشلت، فأنزلت يده التي ارتفعت بتلك الدمية لأضعها على المنضدة لأجده يمسك بيدي بقوة، لا يفرق بيننا سوى قماش ناعم من الفرو الأحمر، ووضع يده الأخرى فوقهما وهو يقول بصوته العادي هذه المرة:

- والله آسف، أنا كنت بفضفض معاكي أنا آسف مكنش قصدي أزعلك

قلت ببؤس:

- أنا مزعلتش، أنا خفت!

لينظر لي بصدمة من لا يتوقع الكلمة:

- خفتِ مني!؟

- أمال يعني مني؟ آه خفت منك، ولو أنت فاكر إني زي اللي أنت قابلتهم دول تبقى غلطان، عشان أنا مش سكتك خالص!

قال بصدمة:

- سارة أنتِ بجد خايفة مني!! أنا كنت بحكيلك حاجة حصلت وفات عليها أكتر من سنتين، لكن أنا بطلت أعمل كده، وأكيد مش هعمل كده معاكي في إيه يعني هو أنا بلطجي!؟

نظرت له نظرة ثاقبة وقلت بهجوم:

- سيف هو إحنا إيه؟!

obeikandl.com

- إحنا أصحاب!

- وحياة أمك؟

ضحك واختلطت ضحكته بملامح الحرج والتوتر، حاول إخفاء توتره فقال بتوسل:

- يخرب بيت اللي يزعلك يا شيخة! والله العظيم أنا اتغيرت يا سارة من ساعة ما عرفتك وفعلًا مش هعمل اللي عملته ده تاني أوعدك، وادي إيدك أبوسها.

اشمأززت رغم ضحكتي التي علت في أرجاء المكان، وتركته يقبل يدي في حب، ناسية سؤالي.. متجاهلة إجابته، فقط اكتفيت بشفتيه تلمسان يدي في حنان يربك قلبي، ويحمّله ما لا طاقة له به.

**

17 نوفمبر 2017

من ضمن الطقوس اليومية أيضًا أن أستيقظ لأجد رسالة صوتية منه بإحدى الأغاني، كما الحال مع الرسالة المسائية.. حتى أصبح من المستحيل أن أنام أو أن أستيقظ دون أن أسمع صوته، أبدأ وأنهي به يومي، في ذلك اليوم استيقظت لأجد أغنية«كل ده كان ليه» على الواتساب بصوته، عشقي المفضل من الأغاني، اندمجت فيها حتى سألت نفسي سؤالًا تصفعني به الأغنية في وجهي: «كل ده كان ليه؟» ادخرت التفكير فيه لوقت آخر، وارتديت أفضل ما عندي لأقابل

obeikandl.com

سيف ونترك تلك الـ«ليه» لوقت آخر..

**

- نلعب صراحة ولا بتتقمصي؟

قالها وهو يمسك بخدي في غيظ بينما أفلته منه وقلت بابتسامة كاذبة:

- لا مش هزعل يلا.

- طيب أسأل أنا.. لما بتسمعي اسمي أو بتفتكريني بتفتكري إيه؟ أخبره بأيهم أولًا؟ بأنني أتذكر تلك الشهور العدة التي هانت بوجوده؟ أم عن عدد المرات التي اتسعت فيها ضحكتي مشرقة عندما يستهزئ بشيء قلته؟ أم عن تلك التفاصيل الصغيرة جدًا التي تبني بيننا شيئًا أشد عمقًا وتوثيقًا؟ والابتسامة التي ترتسم على وجهي عندما أتذكر شيئًا يخصه؟ أم أخبره عن ذلك الخوف الذي يعتريني بعد تلك الابتسامة؟ خوف من أن يتركني كما تركني كل شيء أحببته بعمق، خوف ليذهب راحلًا بلا عودة، خوف من اقتراب ذلك الميعاد أو حتى ابتعاده، فإن كان ذلك قريبًا جدًا فمن حق الخوف أن يتملك كل خلية بجسدي ويجعلها ترتعش في كل ثانية يقترب فيها هذا الميعاد، وإن كان ميعاد الفراق بعيدًا، فكم سأستغرق لنسيان علاقة توطدت واستقرت داخلي لشهور وسنوات؟ وكم سأستغرق لأعود كما كنت مرة أخرى؟

اكتفيت بتلك الجملة كاشفة عن كل ما فكرت به:

- ببتسم، وقلبي بيدق.. وبخاف.

توقفت عن الحديث لأن دموعي قد انزلقت من تلقاء نفسها، فإذا أخذت عيني الإذن بالبكاء تلجم لساني فلم أستطع فعل الاثنين معًا، نعم.. هذا نظام.

توقف سيف عن السير وتوقفت أنا الأخرى لأجده ينظر لي تائهًا يبحث عن طريق يدخل من خلاله إلى قلبي ليطمئنه، ووجد طريقه في احتضاني بقوة، وقال كلمات لم أسمع منها سوى:

- أنا جنبك، ومش هستأذنك في الحضن ده لأن أنتِ محتاجاه أكتر مني.

استكنت بداخله بينما عقلي يحاول التيقظ ومنع هذا من الحدوث ولكني لم أمنعه، تركته يطمئن قلبي المرتجف خوفًا من ماضٍ خلق ليعذبنا، ويطمئن رأسي فيقبلها في حنان كابنته الصغيرة، ويمسح دموعي الساخنة بيده الدافئة ويقبل عيني المغمضة المرتجفة، ويقبّلني في وجنتيّ كطفلة صغيرة أدت الواجب بأكمله، ويقبلني في فمي بدفء حتى يتسنى لي الاطمئنان... ماذا تفعلين أيتها الغبية!!!!!

- سيف لا يا سيف لا..

تراجع خطوات بعدما تلامست شفتانا وقال:

- أنا آسف..

قلت بتوتر:

– لا مينفعش لا.. سيف أنت بتخوفني أنا بقولك طمني.. أنت بتخوفني ابعد عني.

قال بتوتر أشد مني:

– أنا آسف والله آسف.. مش قصدي أنا آسف.

أكملت السير وتبعني هو، ولحق بنا الصمت، يسير معنا لآخر الطريق.

**

ما الذي يمنعنا من الحب إن كان الحبيب موجودًا ويحبنا؟! ما الذي يجعل الإنسان إنسانًا إن لم يحب بكل ذرة فيه شخصًا يبادله نفس الحب؟!

«أنا آسف والله مكانش قصدي أضايقك، أنا بس فكرت إن علاقتنا بتطور يوم، صدقيني ده مالوش علاقة باللي حكتهولك عني قبل كده، وهتصدقيني لما أثبت ده فعلًا قريب بس لما أتأكد إني قد المسئولية دي».

حيرة بعد أخرى، ولم أعد أفهم من هي أنا، وكيف تبدو في ظل انهيارها يوميًا.. متماسكة!

ماذا تفعلين يا سارة؟ أهذا هو الحب الذي تمناه قلبك وعقلك؟ أم أنكِ تهرولين في طريق سريع ممثلة الخفة والرشاقة بينما الحياة تضيق

obeikandl.com

عليكِ يوميًا يا صغيرة؟

رفضت احتمالًا لعلاقة قد تنجح مع (تركي) لأنه تعدى حدوده واحتضنني بقوة، خطفني تحت الأضواء وأثنى على شكلي وجمالي.. والآن أنتِ بالفعل في علاقة تتبادلين فيها القبل مع شخص لا يعترف بالعلاقة من الأساس!

ما الذي تفعلينه تحديدًا الآن؟

**

لم أرد على سيف ليلتها، قضيت تلك الليلة الباردة أغسل شفتيَّ وأمسحهما من أثر نصف القبلة.. وكأن لو أبي دخل عليّ الآن سيرى شفتيَّ كتب فوقهما «قبّلت شابًا تحبه ولا يحبها».. أو كأنني أخاف من أن تنتقل نجاسته إليّ فأصبح مثله، تائهة.. لا أعلم من أين جئت ولا أعلم ماذا أريد!

اجتاحني شعور غريب بالاشتياق، ليس بمثل إحساسي تجاه سلمى الآن مثلًا، ولا بمثل أي فراق اعتاد عليه قلبي، شعور بالوخز يطعن في قلبي متزامنًا مع دقاته، وشفتاي ترتعشان في انتظار قبلة أخرى من حب يائس، ويداي تحتضن كوب من الشوكولاه الساخنة ولا تتركه حتى لا أكتشف أنني في حاجة لاحتضان دافئ لا يربك أوصالي، ولا يرجف قلبي، ولا يحرك براكين عيني الخامدة منذ ساعات..

ولأن الحياة لا تكتمل بدون الحب، ولأنني وقعت في حب لا مفر

منه بأي حال من الأحوال، سألت نفسي بعض الأسئلة أهمها، ماذا لو كان سيف هو مستقبلي وحياتي ومن سأكمل معه ما تبقى من عمري؟ علامَ الحزن الآن؟ إن كان الحب هذه المرة من طرفين!؟

نعم، سأتصالح مع ما حدث لأرى ما سيحدث، سيف يحبني ويريدني معه لبقية حياته، نعم...

ولا توجد طريقة لاكتشاف هذا غير الحقيقة، سأخبره بكامل مشاعري، لنقطع الشك باليقين.

**

2 ديسمبر 2017

- ساكتة ليه؟!

سؤال مهم للغاية، أعاني هذه الأيام من الإجابة عليه، والأهم كان سؤاله التالي:

- أنتِ لسة زعلانة؟!

- مش زعلانة.. أنا متلخبطة.

نظر لي بتردد وحزن، يواسيني بعينيه ويعتذر بطريقته:

- طب أنا آسف.. قوليلي أعوضك إزاي وأنا أعملك اللي أنتِ عايزاه

قولي له ما تريدين حقًّا، أجبريه أن يعترف بمشاعره فلا وقت آخر لديكِ بالتفكير، اسأليه عن تحديد معنى علاقتكما الآن.. نعم أخبريه

obeikandl.com

أنه إذا كان يريدك في حياته فعليه أن يرتبط بكِ.. نعم..

- سيف أنا بحبك!

ما الذي فعلتيه يا منعدمة العقل!؟ كيف سأصلح هذا الآن!؟؟ قولي له إنه مثل أخوكي أو صديقك، نعم قولي له ذلك..

- وعمري ما بطلت أحبك من يوم ما شفتك..

غبية!

لا لست بغبية إنه يحبني، انظري إلى وجهه المنشرح من فرط السعادة، هل تظنينا سنندم على هذا؟!

لا أظن.. بل متأكدة...

ظهرت على سيف علامات الصدمة والسعادة معًا، ابتسم وقال بتردد مخيف:

- أنا بس عندي مشكلة واحدة.

مشكلة؟ هاهي بدأت المشاكل.. لم يؤيدك حتى ويخبرك أنه يحبكِ بالمثل، استقبلي المشاكل يا ست هانم.

- مشكلة؟!! أنا بقولك أنا بحبك!!!

- أنا مش هينفع ارتبط بيكي.

ازدادت سرعة نبضات قلبي في خوف، فقلت في توتر:

- هو أنا وحشة للدرجة دي؟

ربت على كتفي وهو يقول:

- لا لا يا حبيبتي خالص، أنتِ زي الفل، المشكلة فيَّ أنا.

أكمل بشرود:

- أنا كمان بحبك والله بحبك.. بس أنا مش هعرف أساعدك في اللى أنتِ فيه للآخر لازم هييجي يوم وهزهق يا سارة، وأنا مش عايز أزهق من حاجة حلوة أوي حببتني في حياتي زيك.. خلينا نقف لحد هنا.. ونفضل فاكرين اللى بيننا بكل خير.

أشرت له بيدي ليتوقف عن الكلام وأتحدث أنا بجدية:

- أنت عبيط؟

ضحك اعتقادًا منه أنني أمزح ولكنه توقف عندما رأي وجهي الغاضب:

- لا بجد أنت عبيط ولا شكلك كده؟!!!! أنت مش بتتنيل بتقول إنك بتحبني؟ وأنا اتنيلت قولت إني بحبك؟ لازمته إيه الكلام ده.. تبعد!!؟

- سارة بس ممكن تهدي وأنا هفهمك؟

نزعت يده التى حاولت لمس ذراعي في عنف وأنا أصرخ:

- أنا هادية بس مش فاهمة حاجة!!!! يعني إيه عشان متزهقش؟!!!! يعني إيه فهمني

قال بتوتر طفل كسر كوبًا ثمينًا من النيش:

- اهدي حقك عليَّ.. أنا مزهقتش منك أنا بس قصدي إننا.. مش

هينفع نكمل..

لأثور أنا أكثر في نبرة صوت عالية لم أكترث بها وأنا أوكزه في كتفه:

- نكمل!؟ نكمل إيه يا بابا أنت عبيط! نكمل إيه هو إحنا بدأنا حاجة عشان نكملها!؟

ليسيطر هو الوضع بصوته العالي ونبرته الغاضبة:

- بصي لنفسك بتتكلمي إزاي وعايزاني أفهمك!!!

حاول استجماع أنفاسه ليهدأ مرة أخرى ويقول:

- يا سارة أنا بحبك بس بطريقة ما في حاجة غلط، أنتِ متعرفنيش لسة أنا وسخ وهظلمك معايا.

أكمل بصوت مبحوح خفيض بالكاد سمعته:

- بس أنا بحبك.

ظللت أهز رأسي في نفي وعدم تصديق وبدأت حربي الداخلية التى أطلقت جميع أسلحتها عليه:

- أنت بقى عايزني أقتنع بالهبل اللي أنت قولته ده على أساس إني أول مرة أعرفه؟ عرفنا إنك وسخ خلاص، وعرفنا إنك نمت مع بنات بعدد شعر راسك وهتظلم أي واحدة ترتبط بيها

نظرت له والغضب يحرق وجهي، وقلت بعد تنهيدة لم تهدئ شيئًا مني:

- سيف هات من الآخر.. أنت بتحبني وقابل تبقى معايا ولا لأ؟!

– أيوه يا حبيبتي طبعًا بس أنا قصدي..

– بلا قصدي بلا قصدك..

انهدرت دموعي في غير وقتها ومحلها، لم أستطع إكمال نوبة الغضب ظللت أبكي كالطفل الذي استوعب لأول مرة أن أمه ماتت، احتضنني دون استئذان ليفوز بالموقف بأكمله، بينما ضميري يجلدني لما فعلته الآن ببكائي هذا بعدما كنت في موضع قوة، وظل يعتذر بارتباك وتوتر..قامت ثورة بداخلي منذ أن لمس جسدي أضلاعه، وارتعشت خلاياي.. ولم تطمئن نبضة واحدة بداخله، نفضت جسدي من داخله فجأة، وقلت بقوة لا تتناسب مع وجهي الغارق في دموعه واحمراره:

– أنا مش عايزة «آسف» أنا عايزة أعرف.. هو أنت طول الوقت ده محبتنيش؟! طب أنا إزاي حبيتك من أول مرة شفتك فيها؟ إزاي لما حكتلي على كل نزواتك ووساختك دي وافقت وكملت معاك؟ طب كان معناها إيه بقى وحشتيني وإنك ملكش غيري وإني كل حياتك هاه!؟

صرخت في وجهه وأنا أختم أسئلتي بسؤال أكثر تعقيدًا:

– أنا مش مقتنعة بالهري اللي أنت قولته ده، أنا عايزة أعرف المشكلة فين دلوقتي!؟

– سلمى!

دق قلبي في صدمة، واتسعت عيناي، وصمت لأستوعب ما

سمعته للتو، ربما يكن هذا هاتفي الداخلي الذي دائمًا ما يذكرني بها، يستحيل أن تكون هذه هي الكلمة التي خرجت من فمه ردًا على سؤالي.. مستحيل!!

- المشكلة في سلمى يا سارة!!

تلقائيًا قلت:

- سلمى؟ سلمى مين!؟ سلمى إزاي!؟

قال وهو يضم شفتيه في أسف وشفقة على ما سيقوله:

- الله يرحمها... سارة أنتِ كل كلامك بيبقى عن سلمى، كل قعداتنا بتقلبيها زعل وعياط، كل مرة بحاول أضحكك بتحسسيني بالعجز والفشل أو إني مش مكفيكي مثلًا، أنا أوقات كنت بتمنى إني أنا اللى أموت عشان تحبيني بالشكل ده!!

استجمع ما تبقى من شجاعة ليقول بلوم سرقه مني:

- سلمى كانت بتعملي.. سلمى كانت بتقولي.. سلمى وحشتني.. طب وأنا!؟

ربما هذه هي أغرب صدمة تعرضت لها خلال حياتي كلها، سلمى؟ أيقارن نفسه بسلمى؟ أيحزنه حبي ووفائي لها؟ أيوجعه فقداني لها لأني لا أفتقده بالمثل؟!

ومن فرط الصدمة صمت لكي لا أسيء الفهم، ربما يقصد شيئًا آخر..

– أنا يمكن حسيت كذا مرة إنك بتحبيني، بس عمري ما حسيت إنك مش قادرة تستغني عني أو إني بجد فارق معاكي..

ارتفع حاجباي في صدمة أكبر، بينما هو حاول إقناعي بإمساكه يدي فنزعتها منه في عنف لا يتناسب مع ارتعاشها، ليكمل بملل هذه المرة:

– إحنا لو ارتبطنا هتلاقيني في مرة مش قادر أهتم بيكي أو أكلمك ، وهسيبك وساعتها هيبقى الوجع أكبر.. لو كملنا أصحاب فنبقى بنضحك على نفسنا.

نظر أرضًا هذه المرة وقال بعتاب لم أصدقه فيه:

– صدقيني أنا بوجع نفسي بالقرار ده قبل ما أوجعك بيه، بس هو ده الصح، ولو غير كده فأنا هحس إني مزيف وبعمل حاجة مش داخلة دماغي.. غير كده هحس إني مرتبط بسلمى مش بيكي أنتِ!!

ليعلن بجملته الأخيرة الحرب، وينطلق لساني مندفعًا بكل ما يحمله قلبي من آلام:

– أولًا مسمعكش بتجيب سيرة سلمى ـ الله يرحمها ـ على لسانك، عشان هي أنضف من إننا نقعد نجيب في سيرتها وهي في قبرها مبتعملناش حاجة

تماسكي يا عيني، وسأطلق سراحك فيما بعد، تماسكي الآن.

– ثانيًا أنا مش فاهمة.. يعني إيه غير كده هتحس إنك بتعمل حاجة

مش داخله دماغك؟! هو إيه اللى يدخل دماغك يا سيف، فهمني عشان أنا بس دماغي صغيرة شوية وممكن أكون فاهمة غلط؟!!!

وبشجاعة فاقت شجاعته بمراحل عدة قلت بغضب عارم:

- أنا أقدر أقولك السبب الحقيقي.. أنت مش قادر تـ**have fun** معايا كفاية زي ما كنت بتعمل مع اللي قبلي.. أنت أصلًا عايز حاجات تانية أنا وأنت عارفينها كويس وعارفين إني مش بعملها!! أنت محبتنيش!!

- سارة أنا مش قصدي اللى فهمتِه، أنتِ أنضف حد شوفته في حياتي..

قلت بنبرة صادمة:

- أنا أنضف حد شوفته في حياتك؟ بجد دي شهادة أعتز بيها من واحد وسخ زيك!

ليرد صدمتي بصدمة أقوى على التحمل، ويصفعني على وجهي بقوة جعلتني أسترجع كل آلامي النفسية والجسدية.. وتبع ضربته قوله بنبرة عالية وصادمة:

- صدقتيني لما قولتلك طبعي وسخ!!! كفاية بقى!! أنتِ هتعايريني باللي حكتهولك زمان!

احمر وجهي من الغضب ومن أثر الضرب صمت لدقيقة أستوعب بينما ظهرت عليه علامات الندم، قطعت الصمت وأنا أنظر لعينيه

مباشرة وأقول بثبات لا أعلم أنه داخلي:

– أنت كبيرك تضربني قلمين عشان فاكرني هنزل تحت رجليك وأتأسف لرجولتك اللي أنا جرحتها، اللي هي أساسًا مش موجودة.. أنت مش راجل أصلًا!!ولا عمرك شميت ريحة الرجولة، ياريتني فعلًا سمعت كلام سلمى ومجريتش ورا واحد كل همه إنه ينام معايا!

وبصقت في وجهه بقوة!!

وانطلقت مسرعة في الاتجاه الآخر، أستقل تاكسي ووجهي امتلأ بالغضب ولساني مرتعش يأبي الكلام.. واتجهت السيارة للمقابر.. لسلمى..

**

تكتفي الحياة بصفعنا مرة واحدة بينما نحن نستلذ الألم ولا نكتفي أبدًا منه، كما لا نكتفي من البكاء، الصراخ.. ولا يكتفي الوجع من أخذ كل ما نملك بالتدريج حتى لا يتبقى لنا أي شيء سواه.

وما سلب مني الحب شيئًا سواه، والتقطت أنا نَفْسي ونَفَسي دونه!

أخذت الصدمة طريقها إليّ، لم أكن لأستوعب كل ما حدث في يوم واحد، اكتفيت بالبكاء، وأنا أحدث سلمى جهرًا.. جثوت على ركبتيّ في ضعف أواجهه لأول مرة وحدي، بكيت لساعات في هذا الوضع، وسمعت هاتفًا يرن بداخلي بصوت سلمى.. يخبرني أن أكتب.

**

ليت الحاضر يمضي، ليت الماضي يحذف للأبد

6

«كيف يمكن للمرء أن يركض محمـوماً في اتجاه إنسان ثم يعود يركض في الاتجاه المعاكس؟»

رضوى عاشور

obeikandl.com

– لو كنا شيلنا كلمة مينفعش من كلامنا كان نفع.. كان زمانا لسه بنلعب أسئلة زي كل يوم آخر الليل.. أبصلها وأسألها.. إيه الحاجة اللي تخليكي تسيبيني؟

– كنت هرد عليه وأقوله مقدرش وأزعق وأنا بضحك.. كنا هنفضل باصين لبعض شوية وهنسكت.. لحد مافتكر إن الدور عليَّ.. بتحبني؟

– بموت فيكي.. وعمري ما هفرط فيكي.

– كان حلو أوي الكلام.. بس فضل كلام.. كلام..

نفسك في إيه؟

– هتزعلي؟

– نفسك تحضنني؟..

– .....

– بتحب فيا إيه ؟

– حاجات كتير..

– ولا حاجة.. بتحب نفسك فيا.. بتحب شكلك جوايا..

obeikandl.com

مبتحبنيش..

- علي فكرة الدور عليَّ!

نفسِك في إيه؟

- هتزعل؟

- نفسك تضربيني ؟

- نفسي متخيبش أملي.. نفسي أطمن، نفسي تحبني بجد.. متحبش نفسك جوايا وتحب جسمي وبس.

- خايفة مني؟

- ده دوري على فكرة!!!

لو طلبت منك تبعد هتوافق؟

- مش هتقدري

- مش هقدر أطلب؟

- مش هتقدري تبعدي.

- طب ابعد

- أديكي طلبتي، وريني هتعيشي إزاي..

أنا لسه بحبِك.. إديني فرصة..

- دورَك.

- آخر طلب ممكن تطلبيه مني.

- ابقي طمني عليك.

obeikandl.com

- بتبعدي ليه من الأول؟
- ده دوري بطل نصب.

طلب ممكن تطلبه مني.

- خلي بالك من نفسِك.
- نفسي معاك.. خدتها ليك وسبتيني تايهة
- محدش بيموت تايه أكيد هتلاقي الطريق
- دورَك
- هتفتكريني؟
- هحاول أنساك

هتنساني؟

- هحاول افتكِرك.
- مكانش نفسي ده يحصل.. أنا آسفة.
- مكانش نفسي أوصلك لده.. أنا آسف..
- آخر سؤال.
- بتحبيني؟
- بموت فيك.. وأنا عايزة أعيش.

بتحبني؟

- بعيش فيكي.. وهتخليني أموت..
- هتمشي؟ مش هتمسك فيا؟ مش هتحاول تحلها؟

obeikandl.com

- اللعبة خلصت..

#الموقِف

**

19 ديسمبر 2017

وما نستنجه من جميع أوجاعنا، أن الألم سينتهي يومًا.. ولكن لن ينتهي أثر الدرس القاسي الذي علمك إياه أبدًا.. أبدًا..

كانت رانيا مندهشة مما قصصته عليها، فبعد ذلك اليوم انعزلت بداخل قوقعتي أكثر وعندما علمت بالأمر حادثتني وتقابلنا لتفهم مني، وبعد أن قصصت عليها بمشاعر جافة ملولة، اقترحت عليّ أن أذهب إلى الطبيب النفسي الذي أخذت معه بعض الجلسات بعد وفاة والدتها، أخبرتني عنه وعن طريقته المريحة في التعامل نفسيًا وماديًا، أقنعتني بالفكرة عندما قالت:

- وأهو تلاقي حد تدردشي معاه غيري يا ستي عشان متقوليش إني مشغولة عنك وناسياكي أنا والله مسحولة في الشغل وسنة رابعة دي.

صمت لدقائق.. وقلت في استفهام:

- هو إحنا في سنة رابعة دلوقتي؟!

**

آه من الفجوة الزمنية بين ما نريده، وما نحققه.. آه من وجع قلب احترق آلاف المرات بآلاف الأوجاع ولم تطفئه قطرة أمل واحدة، آه من

ذلك الحب الذي يفقد بريقه فيفقدنا كل شيء، لحسن حظي أن ذكرت رانيا أمامي سيرة الجامعة والكلية، كدت أن أنسى أن الامتحانات على الأبواب.. ماذا أفعل يا ربي أرهقت من فرط التفكير.. عُصرت من فرط الوجع.. وتهت.. ولم أجد طريقي أبدًا.. بالاتفاق مع رانيا بدأت أجهز عدة الامتحانات التي اقتربت مني كما اقتربت من اليأس بخطوات قليلة، وحجزت مع ذلك الطبيب النفسي جلسة في آخر الشهر، تحديدًا في ليلة رأس السنة الجديدة، وهو تاريخ كنت اعتدت على ذكرياتي فيه مع سلمى، على أي حال سأدخر بكائي وكلامي لهذا الطبيب، وسأكتب قدر المستطاع.

**

31 ديسمبر 2017

- سارة صلاح الخياري؟ اتفضلي من هنا..

ودخلت إلى مكتب مريح للنظر وللكلام وللنوم أيضًا، وفي توتر جلست في مواجهة هذا الشاب الثلاثيني، د. حسن كمال.. نظر لي من وراء نظارته بابتسامة مزيفة اعتاد عليها بسبب عمله، اتكأت لأغرق أكثر داخل هذا المقعد المريح.. أعطاني إشارة ببدء الكلام فسألت:

- ممَ، أبدأ من الأول خالص صح؟

- زي ما تحبي أنا سامعك.

وبكلمات متلاحقة ومتلاصقة قلت باندفاع، سردت عليه حياتي،

أو ما تبقى منها.. حاولت ترتيب الأحداث، بداية من إعجابي سرًا بشخص لم يكن لي أي مشاعر، ورقصة في غاية الرومانسية لم تخلُ من التوتر والخوف والمشاعر المرتبكة من طرفي، بينما كانت بالنسبة له مجرد حدث يومي عابر، وإحساسي بالذنب ليلتها من تلك اللمسة التي لم ينسها جسدي رغم كل ما مر عليها من شهور، وكيف تجزأت مبادئي وعدت أفكر فيها وأبنيها من جديد، وساعدتني في ذلك سلمى، ولكن سرعان ما بدأ اكتئاب الامتحانات فاستعددت لها وأجلت ذلك الاكتئاب والتفكير المفرط للإجازة التي أتت بسرعة لتبدأ بدهسي بسيارة وسكون معظم أطرافي بداخل الجبيرة والجبس لأعجز جسديًا كما عجزت نفسيًا، وبعد ليالٍ طويلة من التعافي عاقبني أبي وصفعني للمرة الأولى في حياتي عندما رأى صورتي مع تركي في تلك الرقصة السخيفة، وبمرور الوقت استطعت أن أقابل تركي لأخبره بكل شيء بداية من أنني أعجبت به ولا ضرر في ذلك فهي مشاعر لا أتحكم بها، نهاية باختطافه في حضني إجبارًا وليس اختيارًا لأستمتع بما تعاقبني الدنيا عليه، ومن ثم تعرفي بسيف وأصدقائه وكيف تقربت إليه في أيام قليلة أخذ فيها وقتي وقلبي وثقتي كلها، وكيف كانت تحذرني منه سلمى ومن حديثه المفرط عن نفسه، ومن ثم موت سلمى فجأة وذلك الحضن البارد الأخير، سردت له أيضًا عن أيام الاكتئاب الحاد خاصة بعد موت ماما لبنى وكيف دخل سيف في هذا الوقت

تحديدًا واقتحم ما تبقى من قلبي ليسكنه ويرجّه في غير استقرار، وما تبعه ذلك من حطام، ربكة، خوف، وفراق مؤلم غير تقليدي... وعن صفحة كتاباتي التي أصبحت معروفة على الفيسبوك وبتوتر شديد أنهيت كلامي بذلك البكاء الذي أصبح عادة يومية..

ارتفع حاجباه في دهشة وضحك معًا، حاول التركيز ولكن تشتت من كثرة الأحداث وقال:

- طب براحة بس هههه.. أنتِ عايزة نتكلم عن أنهي حاجة في دول بقى؟

مددت يدي بداخل الحقيبة لأخرج منها الأجندة التى سجلت بها كل ما حدث في الآونة الأخيرة وأعطيتها له وأنا أقول:

- ده..

وفي اندهاش شديد من سرعة حركتي حاول استيعاب الأمر كله، طلب لي عصيرًا لأهدأ قليلًا بينما هو يتصفح الأجندة ويسألني من حين لآخر عما حدث في هذا اليوم وعما أقصده بهذا وأنا أشرح بحماس لا أعلم من أين جئت به، ربما هو حماس لآخر قطرات اليأس..

قال بتركيز بعد أن تصفح عدة ورقات أعطيتها له:

- سارة.. أنتِ عندك فكرة حياة أي بني آدم بتمشي فى أنهي سكة؟

هززت رأسي وقلت بسخرية لاذعة:

- آه.. سكة اللى يروح ميرجعش.

ابتسم ثم نظر لي بجدية وقال:

- أي واحد مننا بيمشي في 7 سكك أو 7 اتجاهات.. أو زي ما بنقول عندنا في علم النفس.. 7 جوانب للحياة.. لما بتحصلك مشكلة معقَّدة فى جانب منهم اعرفي إن لسة فى 6 جوانب مفتوحة.. مكتوب عليها «خروج الطوارئ»

وحدثني عن ما سماه بجوانب الحياة السبعة للإنسان، التي ذكر أكثر من مرة مدى اتصالها ببعضها البعض، فهناك الجانب الروحي الذي يتمثل في علاقة الإنسان بروحه أو بدينه، وربما يكن أهم جانب فيها وأكثرها اتصالًا بالستة المتبقية، وهناك الجانب الصحي، والشخصي الذي تصب فيه كل التغييرات التي تحدث في شخصية الإنسان، وأيضًا الجانب العائلي، والاجتماعي الذي يتمثل ليس فقط في المجتمع والأصدقاء ولكن أيضًا في الحب الذي إذا ما صلح توازنت الجوانب السبعة، وإذا ما فسد انتشر الاكتئاب إلى جميع الجوانب فيفسد كل شيء ويتعفن ولا يصبح له أي طعم أو شغف، أما الجانب المهني والمادي فهما ما يسعى الإنسان إليهما كل يوم تقريبًا فكلاهما يؤدي إلى الآخر، ويصب في الآخر كالسبب والنتيجة..

وبعد شرح بعد النظريات المماثلة قال بشغف لا أعلم من أين اكتسبه خاصة مع منظري هذا:

- شطارة البني آدم بقى، إنه يحاول ينجح فى الـ7 جوانب، لو عرف

هيبقى أسعد إنسان عالأرض، لو فشل فيهم كلهم.. هيبقى أتعس إنسان على وجه الأرض.. لو نجح في شوية وفشل في شوية يبقى لحظات انبساطه قد لحظات يأسه.. فاهمة حاجة؟!

هززت رأسي وقلت بثقة انهزامية.. ثقة في انهزامي ذاته:

- أنت شوفت مسلسل **reasons why** 13 ؟ في المسلسل بيتكلموا على البطلة اللى انتحرت بسبب «مراهقتها» عارف قالوا عليها إيه؟

Oh man This girl was too much !

مع إن المراهقة هي الـ **Too much**.. وأحداث حياتنا هي اللي **Too much**.. وأول حب هو اللي **Too much**.. الموت **Too much**.. لكن إحنا؟

Have nothing to do with this too much life.

نظر لي بتأمل في فلسفتي وقال:

- بس إحنا عندنا حاجة نعملها!!

نظرت له في تساؤل ودون أن أنطق، قال بصوت تحفيزي كنت أحتاجه:

- هنكتب.

**

أحيانًا تكتئب فتغرق الكرة الأرضية بأكملها في دموعك.. وأحيانًا

أخرى تضحك ضحكات عالية غير مبررة لا تدل سوى على اكتئابك، وربما انهيارك..

اتفق معي الطبيب على واجب أسبوعي ألا وهو الكتابة، وجلسات أسبوعية ليتابع معي ما كتبته، ظنًا منه أن هذا سيشفي جراحي، جلست أكتب واجبي الأسبوعي وبداخلي سؤال يراودني منذ أن ولدت تقريبًا! وماذا بعد؟

**

7 يناير 2018

نظر لي الطبيب بعين راضية مندهشة مما كتبته وبعد كلمات التشجيع والدعم قال لي برفق:

- حاسة إنك بتبقي أحسن لما بتكتبي؟

نظرت له في هدوء هذه المرة دون أي ضحك فقط ابتسامة خفيفة:

- حاسة إني بحس لما بكتب.. الحاجة الوحيدة اللي بتخليني أحس!

أغلق الأجندة ورجع بظهره ليستند على كرسيه في راحة ويقول:

- طب ها.. هنتكلم عن إيه النهارده؟

اتكأت أنا الأخرى في كرسيّ وأنا آخذ الأجندة أتنقل بين صفحاتها، استقر على صفحة امتلأت بعلامات البكاء وكثرة علامات الحبر العشوائي وأخذت أتحدث:

- عن سلمى

obeikandl.com

أشار إليّ بالبدء، أخذت نظرة للأجندة سريعة ثم أغلقتها وبدأت كلامي بـ:

- سلمى لو مكانتش ماتت في حاجات كتير أوي مكانتش هتحصل.

أتعلم ذلك النوع من العتاب الذي تعاتبه للقدر؟ تلك الأحداث السخيفة التي لا نتوقعها أبدًا والتي تليها سلسلة أسخف من الأحداث والاكتئاب! ربما أكون غير طبيعية واستهلكت وقتي في الحزن على ما فات، ولكن ما هو متفق عليه وغير قابل للشك، أنني أفتقد سلمي بكل نبضة داخلي أفتقدها! أفتقد مبيتي عندها في منزلها، سهراتنا على الأفلام القديمة والمسلسلات الأمريكية، حتى بكائنا سويًا أفتقده، لم أتخيل أبدًا أني كنت سأبكي كل هذا البكاء من دونها، من دون أن أجدها تربت على كتفي أو تحتضنني بدفء وحب، حتى شجاراتنا السخيفة أفتقدها، اكتشفت أنني لا أريد أن يصبح لي صديقة غيرها وإن كانت مثلها.. ولكنها لن تشبهها في شيء، أخاف.. أخاف من أن أجد صديقة طيبة بنكهة تشبهها وبالوقت أنسى سلمى، وأنسى كيف كانت حياتنا سويًا، أعياد ميلادي لن يصبح لها طعم بعد الآن بدونها بل ستصبح سيئة ومُرّة، لن أنسى سلمى مهما مر الزمن، لن أنساكي يا حبيبتي..

دمعت عيناي بشكل دموي وختمت بسؤالي:

- هو أنا استاهل يحصلي كل ده؟!

هززت رأسي في استفهام، حتى يقول:

- بصي يا سارة، أنا مش هتفلسف وأقولك إن الحياة ممكن تكمل بشكل طبيعي بعد ما حد يموت، لأن الحياة اللى كانت طبيعية، كانت كده بوجود شخص ما مبقاش موجود دلوقتي، بس ممكن تتغير طبيعتها دي لطبيعة تانية مش مماثلة للي أنتِ شوفتيه، بس حلوة، وتتعاش

عقدت حاجبيَّ في علامة للغباء وقلت في سخرية:

- لا أنا شكلي استاهل اللي أنا فيه.. مش فاهمة حاجة!

ضحك بشدة وهو يحاول تبسيط الأمر:

- يعني يا سارة أنتِ ليه بتعافري عشان ترجعي حياتك لطبيعتها وسلمى مش موجودة فيها، وحياتك دي اتغيرت وأول حاجة اتغيرت فيها أنتِ!!

- أمال أعمل إيه!!

- اعملي حياة جديدة، حياة تالتة خالص بعيدًا عن كل العك اللى حصل ده، حياة بدأتِها من اللحظة دي فبالتالي الماضي بتاعها صفر!

استندت على المكتب في وضع أقرب للنوم وأنا أقول بطفولة:

- هو ممكن؟!

**

obeikandi.com

14 يناير 2018

ارتشف من قهوته طعمًا ليس أمر من حياتي التي أسردها عليه، وقال باهتمام:

- بعد المجهود اللى أنا شايفك بتبذليه في الكتابة ده، متحمس أسمعك النهارده، نفسك نتكلم عن إيه؟

أخذت نفسًا بصوت مسموع وقلت وعلامات اليأس تملأ وجهي:

- الحب!..

قد يكون فراق الموت شعورًا صعب استيعابه أو تقبله، ولكن الأصعب أن تشعر بأنك لا تستحق حب من حولك، خاصة إذا كنت تحبهم!

وشتان بين إعجاب قد لفت انتباهك ووهمك، وبين الحب ذاته، الحب الأصلي غير المقلّد، تحت كل الظروف والمشاكل تقبل بنفسك محبًا بل تفخر أنك في علاقة تعطي فيها أكثر مما تأخذ، علاقة سامة تمتص كل يوم جزءًا من روحك تحت مسمى الحب، لتتركك بلا روح فقط آثار للحب وذكرياته، والكثير من ألم النفس، ووخز الروح..

عندما شعرت بطيف سيف يحلق في سمائي الخاصة، يخترق حدودي بل يحرقها، ليصل إلى أبعد نقطة في قلبي، وجدت نفسي لا أستطع المقاومة، لم أستطع ألا أتخيل تفاصيله وأغرق فيها دون منقذ

أو حتى مرساة، وجدتنا نندمج كالتوأم، كانعكاس مرآة، وفي كل مرة كان يخيب ظني، تتشوش تلك المرآة أكثر فأكثر حتى انكسرت لأجزاء، وأصبحت مخيفة، مؤذية، وغير حقيقية.

سحبت منديلًا من علبة المناديل أمامي ومسحت وجهي برفق وأكملت وأنا أنظر لوجهه لأول مرة منذ بداية حديثي:

- هو إزاي ممكن البني آدم ينجذب ويحب ويعشق آخر شخص مناسب ليه في الكون؟ وكان فين الشخص المناسب في الوقت ده وبيعمل إيه؟ يا ترى هو كمان مضيع وقته مع ناس مش مناسبين؟ ولا الموضوع مش في دماغه أصلًا؟

وجدته يرتشف من قهوته آخر قطرات مرارتها ويقول بنفس الهدوء والثقة:

- ممكن يكون بياكل مثلًا.

ابتسمت من بين دموعي منتظرة لنصيحته الذهبية الأسبوعية.

- أنتِ عارفة إيه اللي بيمنعنا نشوف الحب الصحي والسليم من أول مرة؟

هززت رأسي في عدم معرفة وقلت:

- أعدمك لو كنت أعرف.

ضحك من تلقائيتي، واقترب ليسند ذراعه فوق مكتبه، بينما رأسي مستقرة على الجهة الأخرى من المكتب كالأطفال تمامًا، قال بتركيز:

– الحب نفسه هو اللي بيمنعنا من الحب، احتياجنا إننا نبقى في قصة واو زي الأفلام والمسلسلات هي اللي بيخليكي تستعجلي وتدخلي في أول قصة حب تقابلك مع أول **gentleman** تقابليه في طريقك، مع إن لا دي قصة حب، ولا هو **gentleman**

وأكمل في استنتاج بديهي:

– مع إن الحب لوحده مش كفاية.

– أمال إيه اللي كفاية؟

نظر لي واختطف نظرة لورقة استقرت أمامه كتبت بها الجوانب السبعة، ثم نظر إليّ مجددًا وقال في صبر لم ينفد:

– التوازن.

**

20 يناير 2018

ذلك الخوف الذي لا يمنعك فقط من النجاح، وإنما من البدء في حد ذاته، ليس فقط خوفًا من الفشل، وإنما هو خوف من البدء في طريق قد يكون به كارثة جديدة تتخلل حياتي العشوائية فتربكها من جديد، وأقضي وقتي كله في محاولات يائسة أن أصلح ما أفسده العالم بداخلي، وإن كانت نظرية السبع جوانب الحياتية هذه صحيحة خاصة أنها معقولة إلى حد كبير، فبذلك قد يتبقى لي باب مفتوح قد أخرج منه إلى حياة جديدة لا أنتظر شيئًا منها سوى الاستقرار، اتفقت مع طبيبي

obeikandl.com

أنني مازال أمامي جانبان احتياطيان للتنفس من خلالهما، الجانب المهني، والمادي.. حسنًا حتى الآن لا أواجه مشكلة بهما.. لا أواجه مشاكل دراسية أعتقد أنني أبليت حسنًا في الاختبارات، حسنًا.. هاتفي يدق إنها رانيا.. نعم أنا متفائلة بهذه المكالمة..

- سارة أنتِ شيلتي مادتين!!!

متى سيتم إغلاق الباب السابع من فضلك؟!!!

**

لماذا تنجذب الكوارث إلى شبيهاتها؟ هل هناك نظام كوني ما يحتّم عليَّ حدوثهم بشكل متلاحق ومتتالٍ؟ أو أن هناك نظامًا بينهم فتتفق الأولى أن تأتي اليوم، وتليها صديقتها غدًا، أما الكوارث الكُبرى فتؤجل إلى النهاية حتى ينكسر ظهرنا تمامًا!

أشعر شعورًا قويًا بأنها ليست نهاية الكوارث، إنها مقدمة فقط.. وعليّ الآن مواجهة حقيقة فشلي، كما سأواجه أهلي بها.. فقد صبرا عليّ لمدة تزيد على الأربعة أشهر في حالة اكتئاب مزرية، كيف سيستقبلان مثل هذا الخبر؟!

**

- يا نهار أسود يا سارة أنتِ مش قولتي حليتي كويس؟!!

- أنا آه قولتلك اكتبي وطلعي طاقتك في الكتابة، بس مكانش قصدي تيجي على دراستك!! أنا سكت عشان تاخدي وقتك لكن

بصراحة درجاتك دي مش مقبولة!!

قلت بتنهيد حار:

- أنا عارفة إن دي أول مرة أشيل مواد في حياتي كلها، بس خلاص دول مادتين بس.. ده كويس إني حليت أصلًا!

قالت أمي بتوسل:

- أيوه يا سارة محدش قالك حاجة، بس أنتِ بصراحة طولتي أوي ودخلتي نفسك في اكتئاب مبيخلصش يا حبيبتي، نسيتي نفسك ومذاكرتك واكتئابك ده جه عليكِ!

قلت بتعجب:

- جه عليَّ إزاي معلش! إزاي كان هو اسمه اكتئاب يعني هو تعريفه إني مش قادرة أعمل حاجة أو آخد خطوة لقدام وكارهة عيشتي وحياتي!

تغاضى أبي عن كلامي وقاطعني بغضب مكتوم:

- دي آخر سنة ليكي.. مينفعش تيجي دلوقتي وتتعبي.. يا ستي اتخرجي وبعد كده اعملي اللي أنتِ عايزاه محدش هيكلمك!

قلت بتأفف:

- حاضر يا بابا أوعدك مش هتتكرر تاني، ممكن بقى تسيبوني أكتئب دلوقتي وأول ما الترم التاني يدخل هزقطط وانبسط وأجيبلكوا تقدير ممكن؟!!

ليكشف أبي عن جزء من غضبه:

- إحنا غلطانين يعني عشان خايفين لا تسقطي!!

لتحاول أمي تهدئة الوضع:

- خلاص يا صلاح هي عرفت غلطها.. ميهمكيش يا سارة حصل خير، إن شاء الله هتعوضي الترم التاني.

وانقلبت دفة الحديث بقول أبي:

- خير إزاي بقى يا هدى والهانم شايلة مادتين!! يعني لو شالت مادة كمان هتعيد السنة ولا أنتِ فالحة تدلعيها وبس؟!

- أنا مش بدلعها أنا مقدرة اللي هي فيه هي تعبانة عشان اللي حصلها فيها مش قليل يا صلاح.

ليصرخ في وجهنا:

- حصلها إيه؟! أنا صاحب عمرييي مات زمان ومعملتش اللي هي عملته ده!!!

لينظر لي بغضب يحرق الأخضر واليابس ويقول:

- سلمى ماتت يا سارة!! ولو مستوعبتيش الحقيقة دي هتضيعي نفسك وهتضيعي مستقبلك!! سلمى ماتت.. وخلصونا بقى من وجع القلب ده أنا كفاية عليَّ مشاكل الشغل ومصاريفكو.

ربما هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أغضب فيها بهذا الشكل، لا أتذكر سوى أن ارتفع ضغطي من فرط الصدمة، وخفق قلبي

obeikandi.com

ليستوعب الحقيقة المؤلمة لأول مرة.. وجدتني أصرخ فيهما.. والدموع ملولة من فرط استهلاكها:

– أنا بروح لدكتور نفسسسسسي!!!!!!!

انهرت في البكاء وأنا أكمل:

– أنا بروح لدكتور نفسي بتعالج عنده وبتكلم معاه عشان أخف، وأنتو كل اللي هاممكم أنا جبت تقدير ولا لأ!

نظرت لأبي المصدوم وقلت قبل أن يستوعب ما قلته للتو:

– أنا مش مستنية حد يفكرني إن سلمى ماتت يا بابا، أنا عارفة إنها ماتت.. أنا بس مش عارفة استوعب إني لوحدي.. كنت متشعلقة فيك أنت وماما تساعدوني لكن الظاهر إني بقيت عبء عليكم.. تصبحوا على خير.

هرولت إلى غرفتي، أستوعب ما قلته للتو، وأتخيل كل السيناريوهات الممكنة، أقسى عقاب أو أكبر مكافأة قد أحصل على إحداهما الآن.. ولكنني تمنيت شيئًا واحدًا.. أن أختفي.. أتلاشى.. للأبد.

**

21 يناير2018

نظرت لطبيبي، وعيني غارقة في همومها، كما كان لساني يقص عليه ما حدث، قلت بارتباك بعدما انتهيت:

- أنا عايزة ماجيش تاني، هينفع؟

وبسعة صدر وافق، فقد كتب لي بعض المهدئات التي قد أحتاجها، وأعطاني بعض النصائح.. ولا أعلم من أين جئت بهذه الشجاعة.. ولكني أردت بقوة أن أتعافى وحدي، بنفسي، ولنفسي.. وربما كانت الكوارث القادمة أعظم من هذا.. ولكني.. بشكل كئيب وعميق.. لا أريد أحدهم أن يقص عليّ حياتي ويخبرني كيف أعيشها، أردت فقط أن يستمع إليّ أحدهم.. ويخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام.. ولكن بعد ما رأيته في حياتي.. أيقنت أنني الوحيدة التي تستطيع أن تخبرني هذا، وتطمئني.. أن كل شيء.. سيكون كما ينبغي منه أن يكون.

obeikandl.com

7

ما لم تحكه الروايات

ويُحكى في العمر، قصص كثيرة بدأت ب«كان يا مكان»، بينما إحداهن مميزة خُتِمت بـ«كن فيكون».

سماح هشام

obeikandl.com

1 فبراير 2018

«وما كنت أحلم سوى بعالم يجمعنا، في راحة كفيك أسترخي مطمئنة.. وجدت عالمي يهتز، يرتبك متفاجئًا من قبضتك عليه.. وجدتني أدهس بداخلك.. أتهشم.. وأموت فيك»

كتبتها على صفحتي، وأطرقت مفكرة في تلك الشجاعة المفرطة التي نزلت بي فجأة ، بل فكرت في كل تلك الأيام الفائتة، وفي قوة تلك الضربات والصفعات التي تلقيتها واحدة تلو الأخرى، وكيف أن الحياة بين يوم وآخر قد تنقلب رأسًا على عقب، فتجد نفسك في آخر مكان تتوقعه، ليس على حافة الهاوية، وليس في الهواء تسقط بسرعة قانون الجاذبية الذي لا يرحم، ولكن على الأرض، تهشمت أطرافك، وتبللت ثيابك غبارًا وطينًا، وارتعشت أوصالك وأبت الحركة إلا من ارتعاش يحيي فيك أملًا ويطفئ آخر.. مغمض العينين، لا أنت تحلم ولا أنت بيقظ، فقط تقاوم من عنف الحياة ما تستطيع، فتجد نفسك هالكًا في دروب ذلك العنف، لا يسترخي

فيك شيء سوى الألم، وما تبعه من أوجاع مبالغ بها.

ما عساي أن أفعل؟ والأهم ما الذي فعلته بنفسي لأجدني هنا.. أهلك ذاتي وأحطم جوانب حياتي واحدًا تلو الآخر، أرفض رقصة رومانسية للغاية وأهين ذاتي على فعلها، لأجدني بعد شهور عدة أقبّل شخصًا لا يرى مني إلا جسدًا مثيرًا رغم هلاكه، ذات الجسد الذي تهشمت أطرافه في حادث سيارة لأبدأ إجازتي باكتئاب حاد، وتشوه ليس فقط لملامحي ولكن لبراءتي التي فقدتها، وجسد لا يستطيع حتى المقاومة، ليتعافى جسدي شيئًا فشيئًا لأجدني حبيسة دوامة أخرى، دوامة تبدأ باختياري الغبي لذلك الحب أن يشاركني حياتي الآن، فلم أكتفِ بالاختيار الخاطئ فحسب ولكنني اخترت أسوأ توقيت قد يقع فيه أحدهم بالحب، وهنا يراودني سؤال، لماذا يغير الحب بداخلنا ما لم يستطع سواه أن يغيره؟ لماذا يتغير الإنسان عندما يقع بالحب؟ فتجده تائهًا مشوشًا لا يرى إلا شيئًا واحدًا ولا يريد أن يرى شيئًا سواه.. فإن كان الألم يغيرنا كما يقولون، فإننا بذلك نتغير مرتين، مرة عندما نقع بالحب تائهين في عالم لا تتضح فيه الرؤية، شاردين، لا نقوى على شيء سوى التفكير، ومرة أخرى عندما يطعننا الحب ويؤلمنا، ولا نرى سوى الألم الذي يصمم على أن يخلع رداء الخوف والضعف ويتركنا مخذولين، موجوعين.. ولكن أقوياء.

في حالتي، تضاعف ألمي مرات عندما ماتت سلمى، لأرى العالم

أسود قاتمًا لا أمل فيه بعدما كان مشوهًا بنقاط النور المتباعدة، وتضاعف أكثر عندما تركني سيف من أجل لا شيء سوى أنه لا يقوى على تحمل مثل مشاعري الفياضة، ويؤسفني أن أخبرني أن هذا الألم والحب عانيت فيه أكثر مما ينبغي، وأن تلك الصفعة التى أخذتها على وجهي وتلك الطعنات التي تحتل قلبي الآن، ما هي إلا نتيجة لذلك الحب، يؤسفني يا سارة أن أخبركِ أن هذا الهراء.. هو أول حب حقيقي في حياتك.. ما عساكِ أن تفعلي يا صغيرة سوى أن تندبي حالِك؟!

ولم تكتفِ الحياة بأن تأخذ مني مبادئي وصحتي، وصديقتي وحبي الوحيدين، بل انتشر الألم في حياتي كالسرطان، ليأخذ مني درجاتي وتفوقي في الكلية، ويأخذ رعاية والديّ ولطفهما اللذين ملّا منهما، بالإضافة إلى مرحي وبهجتي، وتلك الابتسامة المنفتحة على الحياة، التي افتقدتها، ونسيت كيف أبدو بداخلها.

تماسكي، لا يوجد من يشد على يدك الآن، لا يوجد من يخبرك أن كل شيء سيكون على ما يرام، فلتخبري نفسك بذلك، وتشدي على يدكِ بالأخرى، وتخبري عينيكِ أنكِ مللتِ من فيضانها الذي لا ينتهي، فلتهدئى قليلًا كي نستطع التفكير.. كي نستطع المقاومة.

والسؤال الوجودي الذي ببالي الآن: كيف يعيش الإنسان بداخل سبعة جوانب للحياة، إن كانت قد تهشمت وتحطمت؟ والأهم..

هل هناك مساحة لإصلاح ذلك أو أن عليّ فقط الاستسلام لما قد يأتي؟

والكثير من الأسئلة التى لا تحمل إجابة مرضية.

جلست أفكر في ماهية هذا كله، وكيف عليّ تقبله بل وتحسينه أيضًا، ها قد مر نحو ستة أشهر يا سارة، ألن تخرجي من تلك الدوامة العفنة؟!

**

- سارة أنتِ لسه صاحية؟

قالها أبي وهو يهمس واقفًا على باب غرفتي، قلت وأنا مازلت جالسة على مكتبي أفكر وأخطط بين أوراقي وأقلامي:

- آه يا بابا بكتب شوية.

نظر لي بشفقة ممزوجة بأسف.. تقدم نحوي، جلس أمامي وبدأ في استفساراته عن حالتي النفسية، والكثير من المقدمات التي عقبها بقوله:

- أنتِ عارفة ؟ أنا كان ليا واحد صاحبي من أيام المدرسة.. اسمه وليد مات في أول سنة لينا في الكلية..

قاطعته مسبقًا:

- بابا أنا مش زعلانة والله خلاص.

ليقول بمرح افتقدته فيه منذ زمن:

- ما تزعلي ولا تتفلقي أنا عايز أحكيلك

ابتسمت وأنا أنصت لحكايات أبي عن صديقه من المدرسة، حدثني عن المعنى الدفين لتلك الكلمة (صداقة) وكيف كانا مقربين لأكثر من عشر سنوات، وعن ذلك اليوم الذي اكتشف فيه أن صديقه الوحيد سيموت خلال أشهر عدة، لم يستطع الانتظار خلالها لأي جرس قد يدق ويخبره أنه مات، سرد لي أيامًا من الوحدة قضاها مع صديقه بين المستشفيات والعلاج الذي لم يظهر بعد لمثل حالته (سرطان المخ)، وكيف انقضت تلك الأيام بسرعة البرق لم يشعر بذلك الشهرين إلا ووجد نفسه يكفّن صديقه ويصلّي عليه ويدعو له أن يكون ذلك المكان الذي انتقل إليه أقل وجعًا من الدنيا التي فارقها، تلك التفاصيل التي لم تغِب عنه لحظة واحدة، ظل يتذكرها ليلتها وكل ليلة، يتذكر صديقًا طيبًا كانت تطيب به الدنيا وتحلو مرارتها رغمًا عنها، ذهب من بين يديه فجأة إلى عالم آخر لا يستطع تخطيه أبدًا.

وبين تلك التفاصيل تهت أنا إلى تفاصيلي الخاصة، وإلى ليلة باردة مشئومة لا أكاد أتذكرها حتى تضربني الوخزات التي تنهال على قلبي بلا رحمة، وجدتني أدمع وأبكي من جديد، بينما أبي يرى كل ذلك ويتجاهله ليكمل قصته الحكيمة:

- لما وليد مات، ورغم أني كنت مستعد لده، لكني أول ما عرفت

حسيت بمعنى الوحدة حقيقي مش هزار، ساعتها كنت فاكر إن دي فترة وهتعدي وهنسى، لكن تعرفي؟

قالها ونظر لعيني الدامعة التي تحولت للون الأحمر، صمت قليلًا ثم قال:

- وقتها اكتشفت أن الوحدة مش في إن وليد راح خلاص ومش هشوفه تاني، الوحدة في إني كل ما أروح في حتة أشوفه أو أسمعه وأحس بيه مع إنه مش موجود، كل مرة بقعد مع أصحابي كنت بسمع صوت جوايا بيقولي متحطش حد مكانه مفيش حد زيه..

توقف أبي عن الكلام لحظات، وحك عينيه التي غفلته وأدمعت، ربتُّ على كتفه في دهشة من منظره ليأخذني في حضنه ويهمس لي:

- عارفة يا سارة، من يوم ما اتجوزت أمك وخلفتك وأنتِ مليتي عليَّ الدنيا، أنتِ كنتِ الاستثناء اللي عرفت أحطه مكان وليد من غير ماشوفه زعلان مني إني نسيته..

أجهشت بالبكاء في حضنه بصوت عالٍ، بينما هو ربت على كتفي في حنان وأكمل:

- أنتِ الاستثناء في كل ده، وأنتِ اللي كنتُ بشوفها بتكبر وبتحلّو وبتنجح كل ما كنت بنسى وليد.. مش نسيان يعني نكران لوجوده، بس تعايش يا سارة.. مش عايزك تبقي زي الوردة الدبلانة اللي بتموت كل يوم عشان مفيش حد بيسقيها، عشان مستنية حد

معين بس اللي يسقيها ويرعاها.

أخرجني من حضنه لينظر في عيني وهو يختم كلامه:

– أنا وليد لسه بيوحشني على فكرة، أصله كان واد جدع وأصيل وميتنسيش، بس أنا عشت بعدها 25 سنة الدنيا خدتني في مشاكلها ونسيت، بس كنت كل مافتكره أقوم أعمله حاجة أقراله الفاتحة أزوره، أكلمه حتى.. بس مبسيبش الدنيا تلطش فيَّ يمين وشمال يا سارة عشان هو سابني ومبقاش موجود عشان يسندني.

لأقاطعه للمرة الأولى وأقول بتنهيدة بكاء حارة:

– أنا نفسي أرجع زي الأول.. بس.. بس..سلـ.. مـى مش مـ.. معايا

قلتها وأنا أبكي بشدة ليقول بحنان:

– الوجع هيخف، ووشك هينور تاني، وهترجعي سارة اللي إحنا اتعودنا عليها، وهتعرفي صحاب تاني وهيبقالك ناس كتير، هتكبري وهتشتغلي وهتتجوزي وتخلفي، ووسط كل ده مش هتنسي سلمى، هتفتكريها من وقت للتاني وتروحي تزوريها وترجعي لحياتك الطبيعية، فات وقت كتير يا سارة.. مش كفاية؟

قلت له بشرود:

– أوعدك..

**

تلك اللحظة التي تأتي لك فيها آلاف الأفكار الحماسية المجنونة، لحظة نادرة لا تعيشها كل يوم، فقط بين وقت وآخر، وربما مرة كل عام، وفي ذروة يأسك وإحباطك تجد نفسك تفكر بجنون، وغير منطقية، لتصعد إلى مخك فكرة لا تعلم مصدرها أو جدواها، فقط تجد نفسك مللت من حياتك البائسة وقررت التوقف عن نمطيتها، فتظهر فكرة تجعلك تهتف متحمسًا:

- هي دي!

**

10 مارس 2018

قضيت أيامي الفائتة كلها في غرفتي، بعيدًا عن العالم الخارجي، كنت كالعالِم الذي يمكث في معمله أيامًا طوال ينتظر نتائج تجربته، أو ينتظر تحديدًا نجاحها، وفي حالتي كنت أنتظر أن تجدي هذه الفكرة نفعًا، ظللت أكتب وأكتب لأيام.. لا أرى فيها إلا مشاهد حياتي الماضية، أتخيل كل تفصيلة مررت بها، أتخيل كل ألم وكل وجع مررت به ولم أقوَ على تحمله، انقضت أيامي بين مكتبي وفراشي، أوراقي وأقلامي، والكثير من الكتابة والتخطيط، كانت تلك الفكرة جنونية ولم أجربها من قبل، ولكن شرارة الحماس التي سرت في جسدي وأصابته بالقشعريرة جعلتني أستنتج أهميتها وجدواها.. انعزلت عن العالم، عن رانيا وأصدقائي في الكلية، انعزلت عن

obeikandl.com

الجميع دون أبي وأمي اللذين جددا لطفهما مرة أخرى ليلائمني ويتسق مع حياتي هذه المرة، خرجت لهما بعدما انتهيت من خطتي، وبابتسامة عريضة قلت بحماس:

– أنا لقيتها!

لينظر لي أبي الذي هم بالذهاب لعمله بابتسامة مدركة لما أعنيه، بينما أمي ترد عليّ بعدم فهم وهي تنظف الصالة:

– لقيتي الشال بتاعي؟!!!

– يعني بعيدًا عن إني بقول لقيتها مش لقيته، شال إيه بس يا ماما اقعدي بس.

– أصل الشال الأسود بتاعي ضاع.. شوفيه كده عندك في الأوضة يا سارة.

– بس يا ماما، اقعدي وركزي معايا والنبي.

وطلبت من أبي أن يجلس أيضًا ووضعت أمامهما الورق الذي ضم أفكاري كلها، ورحت أشرح لهما ما أفكر فيه، سردت حكايتي مع الطبيب النفسي الذي شرح لي الجوانب السبعة للحياة، وكيف أن حياتي تهدمت جوانبها بشكل متتالٍ ومؤلم، وعن أن كل جانب قد يؤثر على الآخر بشكل كبير، شرحت لهما كيف سيفيدني هذا في حياتي الآن، وعن تلك الفكرة التي حمّستني وجعلتني أستعيد جزءًا من نفسي التي افتقدتها، أليس الجانب المادي مازال متاحًا للتجربة؟

هذه هي اللحظات التي طويت فيها الماضي بكل ما فيه، وانعزلت فيها عن أفكاري السوداوية ورحت أفكر في شيء واحد فقط؟ ماذا أريد أن أكون؟

وبعد شرح طويل لهما عما فكرت فيه الأيام الفائتة، وضعت الفكرة أمامهما بشكل مباشر..

- أنا كتبت رواية

**

ماذا تكون الحياة إذن إن لم تكن فرصًا نغتنمها ونجازف بتجربتها؟ خاصة إن كانت المجازفة في مكانها وتوقيتها الصحيح؟ وماذا نكون نحن إلا فرصًا اغتنمها غيرنا واستهلكها بقوة دون اعتبار لآدميتنا، قاذفًا بالخطأ علينا أننا سمحنا له بالتجربة من البداية؟ ما هو العالم الحقيقي الذي تتحقق فيه الأمنيات، وتطمئن فيه القلوب بشبيهاتها، وتنطلق ضحكاتنا عالية مدوية فقط عندما نجدنا نمشي في الطريق الصحيح، في الوقت الصحيح، إلى الحلم الصحيح.. ماذا يكون الماضي إلا غبارًا تراكم فوق أثاث أحببناه بشدة ونسينا أن نغطيه لنحميه من عوامل الجو، فبكينا على تلوثه واستهلاكه دون أن تكون لدينا الجرأة والشجاعة الكافية لننظفه أو حتى نستبدله؟ وماذا يكون المستقبل إن لم يكن عن أحلام رومانسية تصطدم بواقعية الحياة لتعدل من نفسها وتكمل تلك المعافرة حتى تصل للهدف المنشود؟

obeikandl.com

وما هي الروايات إلا قصصًا نحكيها، ولغة نزينها، وعالمًا خفيًا لم يسبق لك الدخول فيه من قبل لتجد نفسك شاردًا، تملكتك تلك الرواية وأخذتك من عالمك ومشاكلك ودنياك بجوانبها السبعة، إلى عالم آخر بمشاكله ودنياه التي اشتركت معك في جوانب الحياة، واختلفت في صعوبة الأمر.. كيف تكون وتهون الحياة بحبيب يملأ علينا دنيانا بالحب في لحظة، وبالألم في لحظات؟ وما هو شكل الحياة بدون ذلك المدعو «الحب» الذي يبحث عنه الجميع كالمتهم الهارب الذي لا تنغلق بدونه القضية، فهو القضية، وهو المتهم، وهو المجني عليه، بل وهو الحاكم والقاضي في كل ذلك؟ كيف تتسع الحياة وتفتح بابها على مصراعيه لأصدقاء أخذوا من الحنان والحب ما يفيض لنا؟ ليأخذونا إلى ذلك الاحتمال بأن الحياة قد تكون منصفة وعادلة، لوجودهم معنا، وكيف أن الموت لا يرحم، لا يرى، لا يسمع استغاثات وتوسل مذل من الجميع ألا يأخذ عزيزًا، ولا يؤلمنا في فراق لا نقوى عليه، دون أن يعطينا سببًا واحدًا لأخذه كل الطيبين في عالمنا ليترك لنا من لا يعرفوا سوى القسوة والأنانية، أو على الأقل يعطينا دواء للنسيان ووخز القلب، والتفكير الذي ينهش في عقولنا ويأكلها دون رحمة، وكيف يظهر الأمل رغم كل ذلك، في محاولات عدة أن يندفع بين آلاف الطوابير من اليأس والبؤس وما تبعهما من اكتئاب، ليظهر أمامنا جليًّا واضحًا مشوهًا بغبار اليأس، ملوثًا

بشوارع الاكتئاب وممرات الفراق ومفترقات الطرق، ليرتعش نوره مبتسمًا في حب، لأنه مازال يستطيع الإنارة حتى الآن، وكيف أن الإنسان بيده القرار للحياة في زخم وصخب هذه الفوضى ومحاولته للتعايش معها وتعديلها قدر المستطاع، أو الموت، في نفس المكان الذي قد يحيا منه، ليجد نفسه أرضًا لا يقوى على النهوض، تحاوطه كلاب شرسة سميت بالاكتئاب، وذئاب التفكير التي حاصرته ودارت حوله في استعداد للانقضاض على فريستها، وثعابين الهم والخذلان التي تتلوى بجانبه، تنظر لعينيه المفتوحة في خوف وذعر سيجعلان من دمه طعمًا ألذ وأطيب من موته، وعن ذلك الأدرينالين الذي افترش دخانه غرفته ليشوه الرؤية، ويبدل الأقوال، ويعطي الفرصة الأكبر لكل الوحوش بافتراسه والهجوم عليه دون رحمة، فإن قاوم زادت رغبتهم فيه أكثر وأكثر لينتصروا عليه بشرف الحرب وينعموا بافتراسه ويتلذذوا بكل خلية فيه، وإن استسلم فهنيئًا لهم ضحية على طبق من فضة، ليس بها رائحة الشجاعة، لا شئ سوى الجبن والخذلان.. ليأتي الأمل ويفتح الباب على مصراعيه، فيختفي دخان الأدرينالين ويخرج مع الهواء بعيدًا، فترى الوحوش بعضها البعض وتتشاجر على أسبقية افتراس ذلك المسكين الواقع أرضًا، لتقع المشاجرة بينها وتنشغل قليلًا عن فريستها، ليمد لنا الأمل يديه في ضمان، على أن القادم من حياتنا ليس بسوء ما مضى، وأن هناك

متبقيًا من العمر لتلك الحياة التي حلمنا بها وخفنا أن نحياها، لنخرج من ذلك السجن خلسة، نترك وحوشنا تتشاجر سويًا وننجو بأنفسنا، نغلق عليها الباب جميعًا بإحكام لا ينسل منه سوى ثعبان صغير رأى كل ذلك في مكر وتبعنا إلى الخارج، إلى عالمنا الآخر، لنحاط بالهم أينما ذهبنا، وأينما رأت عينانا الجنة بعينها متجسدة، سنجده يحاوطنا، نحاول قتله فيمثل الموت في مشهد عظيم لا يشاركه فيه ذيله السام، لنحاول تقبل الأمر على وضعه هذا، وننطلق في حياة أخرى لا شيء فيها سوى الأمل، والحلم، وبعض من الهم الذي لا ينضب أبدًا.

**

20 مارس 2018

ككل تلك النهايات السعيدة، قررت أن أصنع لي واحدة، ليست بسعيدة ولكنها محايدة قد تأتي جدواها فيما بعد، كتبت على صفحتي التي تعدت الخمسين ألف مشارك، مستغلة سرعة ازدياد معجبيها فقلت:

– كل اللي أقدر أقوله إن هتيجي عليك لحظة كده هتزهق من حالك، وهتحاول تغير نفسك بأي طريقة، تغير الظروف أو تغير اللي حواليك، أو تغير طريقة حياتك كل يوم، المهم أن هييجي عليك يوم وهتاخد القرار ده، ساعتها بس الوجع هيهون، وهتشوف قدامك حلم مكنتش حاطه في حساباتك، بس هيبقى هو كل حساباتك..

أنا كتبت رواية.

نشرته وتركت الرسائل تنهال عليّ في حب وإعجاب ممن لا أعرفهم على الإطلاق، ووجدتني أنظر لتلك الأجندة التي أعطتها لي سلمى بعد وفاتها وكانت سببًا في أن أكتب من البداية، تذكرت الأيام الماضية التي كنت أسهر فيها لأكتب ولا شيء سوى الكتابة، كنت أسرد وأحكي في حماس افتقدته بشدة ولم أتخيل أنني قد أمتلكه مرة أخرى، وكيف جمعت كل كتاباتي الفترة الماضية وكل الحوارات التي سردتها لنفسي وكتبتها على صفحة (الموقف) التي بدلت اسمها ليطابق اسم الرواية (مالم تحكه الروايات)..وذلك الحوار بين الولد والبنت اللذين كانا بطلي روايتي، أحكي عنهما وأختلق شخصياتهما كما يحلو لي، أتتبع الخيوط لأضع الحبكات واللمسات الأخيرة، وفي شهرين كنت أنجزت أول رواية لي، شهرين من الألم الذي ولّد شرارة حماس لم تنطفئ إلى نهاية الكتاب، ولم تنطفئ حتى بعد أن أنهيته، خاصة بعد تصفحي في رسائلي لأجد رسالة جددت حماسي، بل ضاعفته إلى ما لا نهاية:

– مساء الخير أ.سارة.. أنا محمود مدير تسويق بدار نشر وحابب أتكلم معاكي عن نشر روايتك

وهكذا تتجدد الطرق الذي افترقناها، لتنفتح طرق أخرى، مجهولة ولكنها تبدو مبهجة، مزينة، واسعة.. تمامًا كأحلامنا.

**

وفي أيام عدة، اتفقت مع والديّ على الذهاب معًا لدار النشر، لتتمم الاتفاقية ونمضي العقد، وخلال ساعات، أصبحت كاتبة.. رسميًا.

ربما لا يكون العمل الأول لي بممتاز ولكنه على الأقل جيد، والأهم أنني ولأول مرة شعرت بأنني أمسك بدفة حياتي، أسيّر المركب في خفة وحب، أتوقف حيثما أريد، وأكمل طريقي متى استطعت، غير مكترثة بأمواج البحر وعثراته، مادمت أستطيع التجديف.

**

1 أبريل 2018

عزيزتي مذكراتي، كم أهلكتك لعام واستهلكت أوراقك دون رحمة، وكم تحملتني أنتِ في غير اكتراث، وفتحتِ لي أبوابًا من الصبر ما كنت أراها لولا أن كتبت، ربما تباعدت في الأيام والشهور، وربما فرقتني الأحداث والحيوات الأخرى عن تلك الحياة التي حييتها بكِ، وربما ظننت أنني سألتزم يوميًا بزيارتك لأحكي لكِ عما حدث بيومي بكل تفصيلة ممكنة، ولكني حنثت بوعدي رغمًا عني لانشغالي في الحياة التي لم أعد أتحكم بمجراها أو مرساها، ولكن الأكيد أنكِ كنتِ شاهدة على كل هذا، ومن بين الحين والآخر، كنتِ أنتِ الأذن الصاغية المتاحة دائمًا لحكاياتي المملة قبل المثيرة، وربما كنتِ جمادًا لا

يشعر بشيء كما يزعمون، ولكنكِ احتويتي روحًا سكنت بداخلي واتسعت صفحاتكِ لكلماتي مهما كانت مؤلمة ومؤذية، ربما أنا دونكِ لا شيء، وربما نحن الاثنان دون الكتابة، نكرة.

تلك الكتابة التي أغوتني وأسرتني بعدما فقدت الأمل في كل شيء تقريبًا وها أنا ذا، أحتفل بكتابي الأول بشكر خاص لكِ، لأنكِ كنتِ ومازلتِ الباب الوحيد الذي استطعت فتحه للخروج من هذا السجن إلى الأبد.

**

هكذا بدأت مقدمة لروايتي التي حملت اسم «ما لم تحكه الروايات»، وشرحت بها كيف أن الألم قد يدوم لأطول مما نتخيل حتى يترسخ بداخلنا معتقد بأن الحياة هي الألم وأن ليس هناك مكان للفرحة مجددًا، قد يستطيع البطل أحيانًا النجاة من الواقع بخيال الكاتب، فهل يستطيع الكاتب نفسه النجاة من خياله ورؤية الواقع بكل حيادية، فقط ليعيشه؟

**

5 أبريل 2018

في هذا اليوم دعاني محمود ـ مدير التسويق في دار النشر وصديقي مؤخرًا ـ للعشاء في نفس اليوم الذي نشرت فيه روايتي وظهرت للناس، أصبحنا أصدقاء مؤخرًا.. وسرد لي كل شيء عن حياته، كما

فعلت أيضًا، وفي هذا اليوم بالتحديد سألني بشكل مفاجئ:

- احكيلي عن الحياة اللي تتعاش من غير حب!

كان محمود من النوع التحليلي، كثير الأسئلة، مستمعًا عظيمًا، دائمًا ما كان يأخذني إلى تلك المناطق التي يسألني فيها بشكل جريء وقوي عما أخفيه من ألم، كنت أحب طريقته هذه في الحديث فكان يمثل لي الصفحة البيضاء التي وضعت بها كلمة واحدة ملأتها بالتشويق والإثارة وأطلقت العنان لخيالي لأكملها بما يدور ببالي، لأبحث عن ألمي الخاص وأعبر عنه بكل صراحة:

ـ مادام بتسأل «بتتعاش» يبقى أعتقد إنك بتتكلم عن الحياة الحلوة من غير الحب صح؟

هز لي رأسه في ابتسامة ووضع يده على خده مستمعًا، بينما قلت:

- الحب نتيجة للحياة مش العكس..

ارتشفت من عصير الليمون أمامي ونظرت للنيل الذي طلّت عليه الطاولة خاصتنا بينما هو صامت ينتظر لأكمل النظرية:

- المفروض السؤال اللي يسأل يبقى احكيلي عن الحب اللي يتعاش من غير حياة لأن الحب نتيجة مش سبب..

نظرت له مرة أخرى وأنا أقول بابتسامة حنين:

- أنت عارف؟ أنا جت عليَّ فترة كنت حاسة إني من غير ما الحب ييجي هموت، من غير ما أعجب بحد حتى لو بيني وبين نفسي أو

حد يعجب بيا ونجرب نرتبط كنت بحس إني فعلًا حياتي ملهاش طعم! بس أنت عارف إيه اللي خلاني أتخلى عن وجهة نظري؟

نظر لي متسائلًا دون أن ينطق، فقلت:

- الوجع، سمعت زمان مقولة بتقول.. «every thing has a price» كل حاجة ليها تمن حتى الحب، إحنا لما بنختار نحب ـ وبقول نختار عشان إحنا بنقرر وقتها فعلًا ـ مش بس بنختار الشخص بكل عيوبه، إحنا بنختار الوجع والحب، الصدق والخيانة، الألم والأمل.. إحنا بنختار باقة الحب كلها على بعضها، وإحنا وحظنا بقى..

نظرت إلى كتابي الموضوع أمامي في فخر وأمسكت به لأشير إلى نقطتي:

- ويا إما الحب يخيب أملك فتدفع التمن وجع وتعب ونكد، وتحاول تنتصر أو تنتظر..

وضعت الكتاب مرة أخرى لأقول بفلسفة:

- يا إما تلاقي القصة المناسبة ليك، قصة الأمير والأميرة، سندريلا، تايتنك، the notebook أيًا كان بقى.. لأنك في يوم ولو فعلًا الدنيا عادلة زي ما إحنا متخيلين، أنت لازم هتعيش القصة اللي حلمت بيها، لازم في يوم بعد كل الوجع اللي عشته هتلاقي حد يدفع تمنك.. وساعتها هتفتكر كل ده، وهتبتسم.

قال بعد ابتسامة مطوّلة :

– يعني الحياة اللي تتعاش من غير حب هي الحياة اللي بنستنى فيها الحب!؟

قلت بأمل:

– الحياة هي إنك تعيش.. وتضحك.. وتحلم.. وتحاول.. as much as you can.. والحب يعني إنك تأمل في الحب ذاته من غير ما يكون في إيدك برهان أو دليل، ويبقى عندك إحساس مجنون بأنه في يوم، هييجي حد.. ينفيلك كل معتقداتك وخبرتك في الحب، ويعرّفك على إحساس جديد.. مكنتش أبدًا تتخيل إنك يوم تعيشه..

قلت قبل أن أرتشف آخر نقطة عصير:

– ولحد اليوم ده.. عيش.

**

11 أبريل 2018

حبيبتي، أتتذكريني؟ أنا سارة.. سارة صلاح الخياري.. طالبة على وشك التخرج في كلية التقيت فيها بأعز من تملك، وأغلى من ذهب بلا رجعة، أنا تلك الفتاة المجنونة الطائشة التي كنتِ تحبينها كثيرًا، تلك الفتاة التي عانيتِ معها في كل قصصها العاطفية الميئوس منها، البنت الضعيفة التي كانت لا تستطيع فعل أي شيء دون تدخلك، تتلقى الضربات بين الحين والآخر ولا تفكر في صدها أو

ردها وتكتفي بكِ تفعلين هذا نيابة عنها، تدافعين عنها، وتحاولين حمايتها بكل ما أوتيتي من قوة، اليوم وقد فات أسبوع تقريبًا على نشر أول رواية لي جئت إليك لأهديكِ نسختك الخاصة، موقعة من الكاتبة التي كنتِ أنتِ سبب إلهامها، وكنتِ سببًا في هذه الرواية من الأساس، أخذت الرواية صداها وأخذت طريقي أنا للشهرة وفي طريقي توقفت هنا، لأحادثك بفلسفتي الخاصة كما اعتدتِ مني دائمًا، أعلم أنكِ كنتِ تنصفيني في كل الأوقات، أعلم أنني كنت مخطئة في أشياء كثيرة، ولكن.. ها أنا ذا طهرت أخطائي وذنوبي في تلك الرواية، هههههه لا تخافي ليست كئيبة كما تخيلتي دائمًا، بل أكثر هههههههه.. افتقدتكِ كثيرًا في تلك اللحظة التي وقعت بها عقد نشر كتابي لأول مرة، ولحظة إنهائي لرواية لا أعلم ماهيتها، لا أعلم سوى أنها تحمل رائحتك، الحقيقة أنني افتقدتك في كل لحظة، وسأفتقدك في لحظة تخرجي التي على وشك الاستعداد لها، لطالما تمنيت أن نتخرج سويًا ونحضر لمثل هذه الأيام.. لا.. لن أبكي أوعدكِ، ولكني افتقدتك، لن أنساكي مهما تغيرت الحياة وتبدلت، ومهما طعنتني سأحاول المقاومة من أجلك يا سلمى، سأحاول مرات ومرات من أجلك يا حبيبتي، سآتي لكِ من حين لآخر لآخذ رأيك في تفاصيلي المملة، وأيامي التي أصبحت أكثر إثارة في الآونة الأخيرة.. بالمناسبة، أتعلمين محمود هذا الذي حدثتك عنه، إنه مثقف ومحترم، وذو مبادئ

جذابة، لا لا.. لست معجبة به على الإطلاق، أنا فقط أحترم وجوده بجانبي وتشجيعه للدار التي يعمل بها على نشر كتابي، إنه صديق أوعدكِ وسيظل صديقي الدائم،.. سلمى.. هل هناك احتمال لأن أحب مرة أخرى؟ أعلم أنني قد أنرت بداخلي بعض ومضات الأمل ونسيت الماضي بكل ما عانيت فيه، خاصة بعدما علمت أن سيف هذا يعيش أسوأ أيام حياته في حب حقيقي وجاد مع فتاة لا تشعر حتى بوجوده، ولكن أتظنيني قد أحب مرة أخرى بكل طاقتي؟ وهل سينيرني الحب أو سيطفئ ما تبقى بداخلي من نور؟ حدثتني رانيا البارحة عن علاقتها بأيمن، وكيف يحبها ويحاول إسعادها قدر الإمكان، أرأيتي؟ إنها رانيا التي لم ترتبط منذ أكثر من خمس سنوات بعد تجربتها الأخيرة وتعافيها منها، إنها الآن تجد الحب متعثرًا في طريقها ليسعدها ويملأ عليها غياب الأم والأب، ويحنو عليها لينير بداخلها ما أطفأه الموت، أتريني قد أحب يومًا رجلًا مثله؟ لا..لا.. أتريني قد يحبني يومًا رجل مثله؟ أم أن كل هذه فلسفات لا قيمة لها، وأمل أتحايل به على نفسي لأهون عليها ما أصابها؟ عما نتحدث بالضبط يا سلمى، مبكرًا التحدث عن هذا الأمر الحتمي الذي لا مفر منه، فقط كلّمي الله عني ليرفق بحالي، وأوعدكِ أنني سأخبركِ على الفور في حال حدوث جديد، الآن هدية عيد ميلادك يا أميرتي الصغيرة، أرجو أن ينال كتابي إعجابك بحق، وليس كما تخبريني

كل مرة أن هذا رائع فقط لأنني صديقتك، سأفتقدك إلى حين زيارة أخرى.. تمني لي التوفيق.

**

10 أغسطس 2018

لم تكد روايتي تظهر إلى النور حتى أنارت الطريق لنفسها ولمن يقرأها بحياة جديدة حملتها بداخل أوراق من الهم والاكتئاب، فتكاثرت الرسائل الإيجابية نحو ما كتبته فيها، خاصة بعد تغييري لاسم إلى«ما لم تحكه الروايات» فقط لأبقى على اتصال مع معجبيها، وبالفعل خلال أشهر كانت الرواية طريقًا في حد ذاتها، سلكه القراء لينيروا حياتهم هم بأيديهم دون مساعدة أو تدخل من أي أحد، وسرعان ما جنيت الشهرة التي طالما حلمت بها، وفي أشهر قصيرة لم أنتبه لها وجدتني كاتبة مشهورة، أحاط بالكثير من الصحفيين والإعلاميين أينما ذهبت، والأهم من ذلك، هو هذا اليوم الذي تخرجت فيه من الكلية.. وازدادت الأيام سرعة غير مسبوقة، فنسيت كل ما آلمني للحظات، نسيت تلك الصفعات والضربات وكل ما أخذته مني الحياة، لأجد أحلامي تتحقق أمامي كل يوم، ازدادت اللقاءات التليفزيونية عن الفتاة العشرينية التي كادت أن تتخرج حتى نشرت أول كتاب لها لينجح وتشق طريقها قبل أن يبدأه الكل، وجدتني محاطة بأناس كنت قد نسيت أمرهم، زملاء الكلية، أقاربي،

وكل من عرفت على وجه البسيطة يشجعني ويدعمني أينما كنت، توقفت عن الثرثرة في تلك المذكرات، وضعت قلمي جانبًا.. ها أنا قد انتهيت.. وسأتوقف عن الكتابة الآن.. ربما أعود لها من حين لآخر، ولكني أعلم أن....

أخذت رشفة من كوب المياه أمامي ووضعته في توتر جعلني أصمت للحظات، لأشاهد الحشد الذي أمامي، ينظرون لي في فخر وشغف، ابتسمت في حرج وارتعشت يداي كلما نظرت إلى تلك الجائزة التي وضعت على المنصة أمامي، وأضواء الكاميرات تلتقطني من كل اتجاه، نظرت في أول صف لأجد محمود جالسًا يشير لي بضحك أن لا مجال للهرب.. أكملي ما بدأتِه، أمسكت بالكتاب مرة أخرى، لأستأنف ما أقرأه أمام مئات الأشخاص:

ـ ولكني أعلم أن الكتابة في حد ذاتها علاج، وتعافٍ، أطهر نفسي بذلك الحبر، أنفّس عن همومي على ورق أبيض ناصع لم يتلوث بعد بحبر يبلله البكاء، أطلق العنان لخيالي، وأكتب.. ولا أتوقف حتى أشعر بأن ذلك السم قد سرى من جسدي إلى ورقي لينسل إلى الحبر في شكل مصل واقٍ، يأخذه كل من يقرأ، فيبكي ويتألم، حتى يتعافى.. مع آخر ورقة، مع آخر نقطة حبر.

وضعت الكتاب مرة أخرى في انهيار ليدي التي أبت أن تحمله لأسمع تصفيقهم مدويًّا في المسرح، وعيني تستغل الفرصة كالعادة

لتخبرني أنه قد جاء اليوم الذي بكيت فيه دون وجع، دون ألم، فقط فرحة زائدة ومبالغ بها، وقف الصف الأول يصفق بحرارة، أمسكت بالجائزة في فرحة وفخر، التقطتني الكاميرات من كل زاوية، رأيت أمي وأبي يبكيان في فرحة، وأمل، ومحمود ينظر لي بابتسامة محبة لا ينزعها، ورانيا وخطيبها فخوران بي، حاربت رعشة يدي لأمسك بالميكروفون مرة أخرى وأقول:

- أنا بس حابة أقول حاجة، أنا بهدي الجايزة دي لسلمى ـ الله يرحمها ـ زي السنة اللي فاتت في نفس الوقت ده أنا كنت واحدة تانية، بس سلمى كانت مصممة أبقى الشخصية اللي أنا عليها دلوقتي.. أتمنى تكون سامعاني وفخورة بيا..

أعقب كلماتي تصفيق آخر مطول، ونظرة فخر في عين كل من رآني يومها أحقق حلمًا لم أكن أعلم أنه قد يكون طريقًا ومخرجًا مما عشته من ألم وضعف وحياة لا أستحقها، وعن ذلك الطريق الذي كان مطولًا، محمّلًا بالهم، مغطى بالحزن والكآبة.. لكني قد وصلت لنهايته، مما يعني بداية جديدة، وعلى ذكر البداية الجديدة..

- سارة أنا بحبك..

آآاه من هذه الكلمة، ومن هذا الحب، ومن هذه الضحكة التي ضحكتها بشكل تلقائي ومتتالٍ لدرجة جعلت محمود يظن أنني أسخر منه، نظرت إليه في حب لم أعلم أنه بداخلي، أخفيت تلك

الدموع هذه المرة، شيء ما بداخلي عاد واستقر لمكانه، شيء ما كان ناقصًا وامتلأ، شيء مريح لا يشوبه وجع، ولا يلوثه خوف.. وبراءة شديدة..

- يلا نتجوز.

**

ذلك الإحساس بأن القادم أفضل، ليس في شكل حكمة نكتبها ونضحك عليها، وليس في شكل أمل مبالغ فيه بأن الحياة ستتوقف عن صفعنا إلى الأبد وسنعيش جنة الله على الأرض، وإنما في شكل تقبل لعدالة الحياة، وإنصاف خالقها، بأن لكل دائن دينًا سيرده مهما طال الزمن، وأن لكل هم نهاية، ولكل مفترق مؤلم هناك بداية لطريق آخر، لا نعرفه ولكننا نؤمن به، كما نؤمن بأنفسنا أننا يومًا ما سنأخذ ما نستحقه وإن كان عظيمًا، وإن كان حقيرًا، وأن الحياة ليست فلسفة نكتبها في رواية لنقتبسها في واقعنا ونطبقها على أنها قاعدة، والسعادة ليست معادلة أو استنتاجًا أو حاصل ضرب جدول محفوظ من المقادير، وإنما هي تفكير عميق، وإدراك لكل المعاني الصغيرة وما يترتب عليها، وحب استطلاع لما قد تفاجئنا به الدنيا في اليوم التالي، وأن الماضي ما هو إلا حاضرنا الذي أبينا أن يمر بسلام فاختلقنا القصص لنمكث فيه بكل استرخاء خوفًا من المستقبل الذي هو مجرد فكرة في عقولنا لا تمر بسلام أبدًا مادمنا خائفين، وأن الخوف

ما هو إلا حماس وحب مغطى بغبار قذر لا نقوى على نظافته، وأننا نحن البشر، أروع الكائنات الحية، وأكثرها دقة وتحليلًا لكل الأمور، وأعظمها غباءً عند الاختيار، وأن الله.. يرى كل ذلك، يسمع كل هذا، ويصمت منتظرًا لقرارنا النهائي، فإما أن نستسلم فيتركنا في خيبة أملنا دون مساعدة، وإما أن نحاول من جديد ليأخذ بيدينا وإن كانت المحاولة صغيرة حد السخف، ليرينا مناطق من النور ظهرت بداخلنا قد نبدأ بها طريقًا جديدًا، لا ماضي فيه ولا حاضر، فقط مستقبل نؤمن أننا نستطيع تحقيقه، وحزن دفين يوقفنا أحيانًا ويحركنا أحيانًا أخرى ،فنتوقف عن محاولات النجاة، لنحيا.

تمت بحمد الله
سماح هشام
3 يناير 2018

obeikandl.com

الفهرس

- مقدمة وإهداء 3

1 - أول دروس الحياة أن تعيش 13

2 - العقل السليم فى القلب السليم 51

3 - من أقسى خيارات الحياة: إما أن نعيش، أو أن
نتعايش.. لا خيار للموت هنا. 83

4 - لأولئك الذين غابوا رغم إصرارهم على البقاء..
سلامٌ عليكم 109

5 - ما كنت أبحث عنك، كنت أبحث عن نفسي
داخلك.. 139

6 - ليت الحاضر يمضي، ليت الماضي يحذف للأبد 175

7 - ما لم تحكه الروايات 197

obeikandl.com